الإسراء والمعراج

ألفه
خادم القرآن والسنة
الدكتور الشيخ
محمد بن محمد أبو شهبة
أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى
رحمه الله تعالى

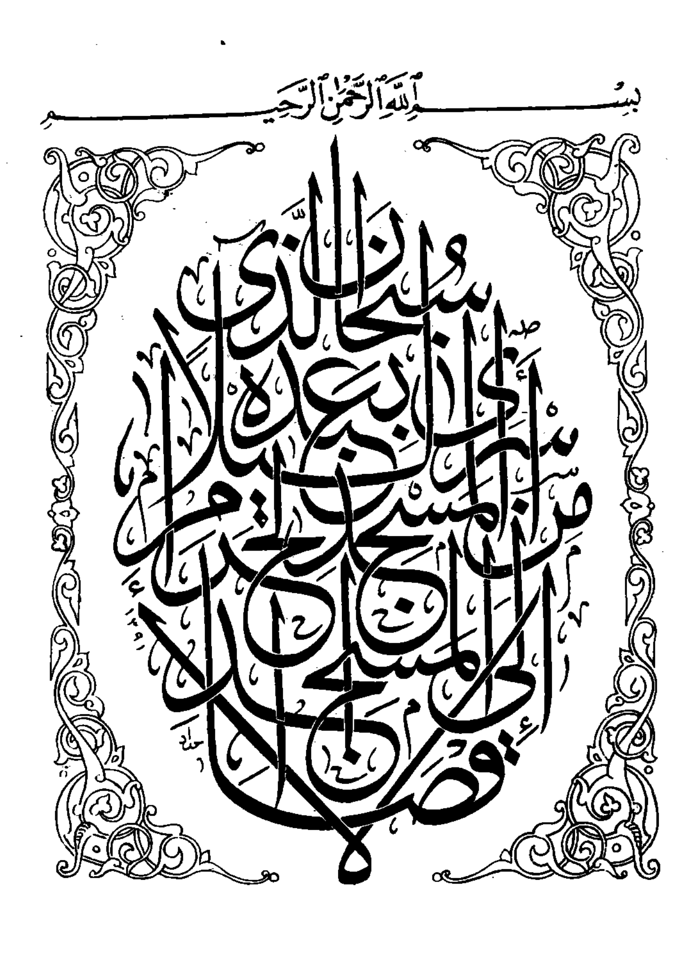
طبعة جديدة
١٤١١ هـ - ١٩٩٠م







١٠ش الشيخ على الغاياتى - خلف مسرح الجمهورية - القاهرة ت : ٣٩٠٩٨٣٩



بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القدير فلا يعجزه شيء العليم فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وصفوة رسله المؤيد بالمعجزات الباهرات ، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان .

« أما بعد » فهذه رسالة فى الإسراء والمعراج بينت فيها حقيقتهما ، وإمكانهما وقصتهما مستقاة من أوثق المصادر وأصح الروايات .

وقد قدمت بين يدى البحث خلاصة فى حاجة البشر إلى الرسل وتأييد الله سبحانه لهم بالآيات البينات ، وملاءمتها لما اشتهر فى أعصارهم ، وما خص به نبينا محمد ﷺ من المعجزات المتكاثرة ولا سيما المعجزة العظمى وهى القرآن الكريم ، ثم أخذت فى تجلية الموضوع الذى إليه قصدت ، وما يتصل به من الكشف عن حكمة ، أو تزييف شبهة ، أو نقد رأى .

وقد تحاشيت كل ما لا يدل عليه نقل صحيح ، إذ فى الزَّبَد ما يغنى عن المخيض والله أسأل أن يجعل عملى خالصاً لوجهه ، وأن يجنبنى الشطط فى القول ، والعثار فى الرأى ، إنه نعم المولى ، ونعم المعين .

« د . محمد أبوشهبة »

٥ من جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ

١٢ /١٠/ ١٩٦٤م

الفصل الأول

حاجة البشر إلى الرُّسُل

خلق الله النوع الإنسانى ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وأعده لعمارة الكون ، والانتفاع بما فيه ، ووهبه لطيفة ربانية وهى العقل وبه شرف الإنسان ، وبه صلح للاستخلاف فى الأرض ، والاهتداء إلى طرق الانتفاع بها ، واستغلال ما فيها .

وكل فرد من أفراد هذا النوع الإنسانى فى حاجة إلى الآخر ، فالصانع محتاج إلى الزارع ، والزارع محتاج إلى الصانع ، وكل منهما فى حاجة إلى التاجر ،وصاحب المال محتاج إلى العامل ، والعامل محتاج إلى صاحب المال ، والجاهل فى حاجة إلى العالم ، والضال فى حاجة إلى الهادى والمرشد .

بل الجماعات والشعوب ، لا تستغنى جماعة عن جماعة ، ولا شعب عن شعب فى علمه وصناعته ، ولا فى موارده الاقتصادية .

وهكذا شاء الحق تبارك وتعالى أن يكون النوع البشرى كأسرة واحدة ، كى تتحقق المصلحة العامة ، ويحصل الارتفاق بين الناس على خير ما يكون ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ **يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خلقْنَاكُم من ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتعَارَفُوا إِنَّ أَكْرمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[1] وصدق الشاعر العربى :

النَّاسُ لِلنَّـاسِ مِنْ بَـدْوٍ وَحَـاضِرَةٍ
بَعْضٌ لِبَعْضٍ ـ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا ـ خَدَمُ

وقديماً قال أحد فلاسفة اليونان : « الإنسان مدنى بالطبع » .

ويكفيك دليلاً على أن الإنسان لا يعيش إلا فى جماعة ما وهبه الله سبحانه من آلة

---

(١) الحجرات الآية ١٣ .

النطق « اللسان » فإنه خلق لتصوير المعانى فى الألفاظ وتأليف العبارات الدالة على ما فى النفس ، وذلك لاشتداد حاجة هذا النوع إلى التفاهم بعضه مع بعض ، وأن الإنسان لا يمكن أن يعيش وينتفع بخيرات الأرض وهو بمعزل عن الناس جميعاً .

وحاجة الأفراد بعضهم إلى بعض تزيد وتكثر كلما كثرت مطالب العيش ، وتشابكت المصالح ، وزاد التمدن ، واستبحر العمران ،وفى تلك الحالات تمتد الحاجات من الأسرة إلى القبيلة ، ثم إلى الأمة ثم إلى أفراد النوع الإنسانى بأسره .

الإنسان ليس عقلاً مجرداً :

لو أن الإنسان خلق عاقلا مجرداً عن الأهواء والشهوات لاستقامت الأمور ، ولصلحت الأحوال ، ولأمكن للبشر أن يعيشوا أسرة متحابة متآلفة متعاونة ، ولكن هذا النوع ركب فيه إلى جانب القوة العاقلة القوة الشهوانية ، والقوة الغضبية .

والقوة الشهوانية قد تخرج عن حد الاعتدال فتحمل صاحبها على الانهماك فى الشهوات والحرص على اكتساب الأموال من أى جهة كانت ، وبأية وسيلة تيسرت ، والإفراط فى طلب المحبوب والمرغوب فيه من غير طرقه المشروعة .

وكذلك القوة الغضبية حينما تجاوز حد الاعتدال تحمل صاحبها على سفك الدماء ، والغدر والظلم ، والتفنن فى أنواع الشر والإيذاء ، ولهاتين القوتين ـ الشهوانية والغضبية ـ خطرهما لشدة التجاوب بينهما وبين النفس الأمارة بالسوء ، وتغلبهما على القوة العاقلة فى كثير من الأحيان ، ومن ثم يكون اختلاط الأفراد بعضهم ببعض مدعاة إلى الجور والظلم ، وسفك الدماء ، وانتهاك الأعراض وسلب الأموال ،إلى غير ذلك من المحظورات إذاً فالبشر فى حاجة ماسة إلى شريعة رادعة زاجرة تبين الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال ، وتكفل لهم السعادة فى هذه الحياة الدنيا .

شعور الإنسان الفطرى بحياة أخرى :

هذا إلى أن الإنسان بما أوتى من فكر ونظر ، وبما منح من إلهام يتوصل ـ على سبيل الإجمال ـ إلى أن هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة الدنيا ،يسعد فيها الإنسان أو يشقى ،

وأن السعادة فيها أو الشقاوة مرتبطة بما قدم فى دنياه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[1] ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[2] .

والإنسان بما فطر عليه من حب للمعرفة والاستطلاع فى حاجة ملحة إلى من يفصل له أحوال هذه الحياة الأخرى ، والوسيلة التى توصله إلى الفوز بنعيمها ، والنجاة من عذابها سواء أكانت هذه الوسيلة اعتقادات أم عبادات ، أم معاملات ، أم أخلاقيات .

فمن يا ترى يمكن أن يفى بحاجة البشر إلى تحقيق السعادتين، الدنيوية والأخروية ؟

العقل لايكفى وحده :

لا يمكن لحكيم مهما سما وبلغ من الرقى والمعرفة أن يضع تشريعاً عاماً يحقق جميع ما يحتاج إليه البشر فى دنياهم ، ولا أن يبين بالتفصيل أحوال هذه الحياة الأخرى ، والطريق إلى الفوز فيها ؛ لأنها حياة مغيبة عنه ، لا يحيط بها إلا علام الغيوب ، وهو الله جل جلاله .

والنابغون من البشر مهما كانوا فعلمهم قاصر، فهم إن أحاطوا علماً ببيئتهم فلن يعلموا جميع البيئات ، وإن أدركوا ما يكون فى زمنهم مما يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً فلن يدركوا ما سيكون بعد زمنهم .

ثم هم إلى ذلك ـ عرضة لتغلب الأهواء والشهوات ، والاستجابة للغرائز النفسية ، والوساوس الشيطانية ، والخضوع لسلطان البيئة إلى غير ذلك مما يجعل أحكامهم وقوانينهم عرضة للطعن والتجريح .

لا يمكن أن يفى بهذا الغرض إلا التشريع السماوى :

وإذا كان العقل البشرى مهما سما وبلغ من العلم بمعزل عن هذه المنزلة ، وهى تحقيق السعادتين الدنيوية والأخروية ، فيتحتم بالضرورة أن يكون الواضع لهذا التشريع هو الله

(١) القيامة الآية ٣٦ .

(٢) المؤمنون الآية ١١٥ .

سبحانه الذى أحاط بكل شيء خُبْرا ، وعلم ما كان وما يكون ووسعت رحمته كل شيء ، وتنزه عن العبث والسفه ، والهوى والشهوة ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾[1] وقوله : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَمَن فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِم فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[2] .

الرسل مبلغون عن ربهم :

وقد شاء الله عز شأنه وجلت حكمته أن يكون المبلغ لهذا التشريع الإلهى السماوى فئة من البشر ، وهم المصطَفَوْن الأخيار ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فالرسل هم هداة البشرية وأُسَاتُها ، وهم جمالها وكمالها ومنزلتهم من البشرية بمنزلة الروح من الجسد ، وهل يحيي جسد بدون روح ؟

* * *

مَنْ هُم الرُّسُــل ؟

ورسل الله فئة ممتازة من البشر قد صفت نفوسهم ، وسمت فطرتهم ، وزكت أصولهم ، تعهدهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من الصغر بالعناية والتأديب ، ونشأهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، وجعل لهم استعداداً خاصاً استحقوا به أن يكونوا أهلاً لتلقى الوحى من ربهم بالذات أو بوساطة الملك أو الإلهام ، وأن يبلغوه إلى من شاء الله أن يبلغوه إليهم من البشر ؛ كى تتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة .

وليست النبوة أمراً يكتسب بالرياضات والمجاهدات ، وإنما هى فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الذين أخلصهم لنفسه ، واصطفاهم لتبليغ شرائعه ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[3] . وهؤلاء الرسل يجب اتصافهم بما يحقق

---

(١) الأنعام الآية ١١٥ .
(٢) المؤمنون الآية ٧١ .
(٣) الأنعام الآية ١٢٤ .

المقصود من إرسالهم ، ويدعو الناس إلى اتباعهم فيجب لهم :

(١) الصدق .

(٢) وتبليغ ما أمروا به إلى الخلق .

(٣) والفطانة .

(٤) والأمانة أو العصمة ؛ يعنى عصمة ظواهرهم وبواطنهم عن كل منهى .

(٥) وسلامة أبدانهم عن كل ما ينفر منهم النفوس .

ويستحيل عليهم الاتصاف بضد هذه الصفات .

وبالكمال فى هذه الصفات امتازوا عن بقية أفراد النوع الإنسانى ، كما امتازوا بأن أرواحهم قد أمدها الله بكمال العناية ، فصفت ورقت وقويت حتى صارت أهلا لأن تسمع كلام الله وأن تشاهد الملك بصورته الأصلية وتأخذ عنه الوحى .

وما عدا تلك الصفات فهم مساوون لباقى أفراد نوعهم فيأكلون ، ويشربون ، وينامون ، ويألمون ، ويمرضون أمراضاً غير منفرة ، ويصابون بأنواع البلاء والأذى من الأعداء ، وقد يقتلون .

ولما اعترض المشركون على النبى ﷺ بقولهم كما حكى الله سبحانه : ﴿ **وَقَالُوا مَا لِهَـٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** ﴾[١] .

رد عليهم مقالتهم بقوله سبحانه : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴾[٢] .

---

(١) الفرقان الآيتان ٧ و ٨ .

(٢) الفرقان الآية ٢٠ .

وقد بين الله لهم أن أكل الطعام والمشى فى الأسواق ديدن الرسل جميعاً وأنه لا ينافى الرسالة ، وقد حكى القرآن الكريم مقالة أقوام الرسل لهم بأنهم بشر مثلهم ، ورد الرسل عليهم بتسليم بشريتهم إلا أن الله مَنَّ عليهم بالرسالة فقال سبحانه : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ، قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[1] .

وهؤلاء الرسل مؤيدون من الله سبحانه وتعالى بآيات بينات تخالف ما يكون فى مجرى العادة ، ولا يستطيعها البشر مهما أوتوا من قوة ، وهى ما تعرف بالمعجزات .

* * *

مَا هِى المعْجِـزَة ؟

المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى صراحة أو ضمناً ،يجريه الله على يَدِ مَنْ يدعى النبوة ، فإذا قام إنسان وادعى النبوة وقال : الدليل على صدقى أن يجرى ـ سبحانه ـ على يدى ما يخالف المألوف من عادته ،ثم يتحدى الناس زرافات ووحدانا أن يأتوا بمثل ما أتى به وفيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته ، ثم لم يكن منهم إلا العجز ، وعدم الاستطاعة فلا شك أن هذا دليل قوى وبرهان ساطع على صدقه ،وأن ما جاء به من عند الله سبحانه .

والمعجزة فى دلالتها على صدق النبى قائمة مقام قول الله سبحانه فيما لو أسمعنا كلامه : « **صدق عبدى فيما يبلغ عنى** » .

فمتى ظهرت المعجزة على يد إنسان وقارن ظهورها دعوى النبوة ، علم بالضرورة أن الله ما

(١) إبراهيم عليه السلام الآيات ٩ و١٠ و١١ .

أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت على يده ؛ لأن من المحال أن يؤيده الله وهو كاذب ، إذ تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، والكذب محال على الله .

ومع وضوح دلالتها على صدق النبي الذى ظهرت على يديه فقد قارن حصولها الإنكار من بعض الناس عنادًا ومكابرة ، ولو أن كل حق يظهر يأخذ به الناس جميعاً لما كان هناك خلاف فى الأرض ، ولكان الناس أمة واحدة ،ولكن طبيعة الناس على خلاف هذا وصدق الله : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ من بَعْدِهِم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [1] .

المعجزة ليست من المستحيلات العقلية :

والمعجزة ليست من قبيل المستحيل العقلى ،فإن مخالفة السنن الكونية المعروفة مما لم يقم دليل على استحالته فهى ـ وإن كانت مخالفة للعادة ـ داخلة فى نطاق الممكنات العقلية .

وإذا كان الله سبحانه ربط الأسباب بالمسببات ، وأوجد الكائنات بناموس قد يصل علمنا إلى معرفته ، فليس من المحال عليه سبحانه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات يعرفها هوسبحانه ،غير أننا لا نعرفها ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل منه ورحمة .

وإذا اعتقدنا أن الله قادر مختار لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء سهل علينا الإيمان بأنه لا يمتنع عليه أن يحدث الحادث على أى هيئة ، وتابعاً لأى سبب إذا سبق فى علمه أنه يحدثه كذلك ، واقتضت الحكمة إيجاده على هذا النحو .

المعجزات ليست من صنع الأنبياء :

والمعجزة نفحة من نفحات الحق يجريها الله سبحانه على يد أحد أنبيائه ،وليست من صنعه ،وإنما هى من صنع الله تعالى وليس أدل على ذلك من أن موسى عليه السلام لما أراد

---

(١) البقرة الآية ٢٥٣ .

الله أن يعلمه معجزته الكبرى ،وهى العصا ليأنس بها فانقلبت حية وَلّى خائفا ، ولو كانت بصنعه وعلمه لما خاف ؛قال تعالى حاكياً ذلك : ﴿ **وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[1] أما السحرة فلما ألقوا حبالهم وعصيهم وصارت حيات تسعى لم يحفلوا منها ؛ لأنها بصنعهم ، وهم أعلم الناس بحقيقة أمرها .

الفرق بين المعجزة والمخترعات :

أن المعجزة ليست معروفة السبب من الخلق بخلاف المخترعات العجيبة ؛ فإنها لا تدخل فى نطاق المعجزات ولا تقاربها ؛إذ هى أمور مبنية على تجارب ونظريات داخلة تحت طاقة الإنسان وقدرته ، ومن عمله وصنعه ، وهى جارية على السّنن الكونية المعروفة وليست خارجة عنها ، وما سمعنا مخترعا ادعى النبوة باختراعه لأنه يعلم أنه لو فعل وتحدى الناس فسرعان من يقوم من البشر ، فيأتى بمثل ما أتى به إن لم يكن أغرب منه ، ويرد عليه دعواه .

الفرق بين المعجزة والسحر :

أن المعجزة غير معروفة السبب العادى لنا بخلاف السحر فهو وإن خفى فى الظاهر على كثير من الناس مما يعلمه بعضهم ، وله قواعد وأسباب يتوصل بها إليه ، وكثير مما نظن أنه سحر لا يعدو أن يكون خيالاً وخفة يد وشعوذة فكن على بينة من ذلك ، ولا يشكلن عليك الأمر ، فيلتبس الباطل بالحق المبين فشتان ما بين صنع الله رب العالمين ، وعمل الدجالين والمشعوذين والمبطلين .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

والأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد رجل يدعى النبوة فهو المعجزة ، وإن ظهر على يد رجل صالح معروف به من غير أن يقترن بدعوى النبوة فهى الكرامة .

---

(١) النمل الآية ١٠ .

وأما ما يظهر من الغرائب والتخيلات على يد الرجل الطالح الذى لم يعرف بصلاح ولا استقامة فهو دجل وشعوذة وتمويه .

مُعجـزات الأَنْبِيـاء وملاءَمَتِهـا لأَزمانهـا

فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « **مَا مِنْ نَبىٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَأُوتِىَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ** »[1] ومراد النبى بما أوتيه معجزته الكبرى وهى القرآن .

وقد شاء الله سبحانه أن تكون معجزة كل نبى ملائمة لما اشتهر فى زمنه حتى إذا ما عجز الناس جميعهم عن الإتيان بمثلها كان ذلك أكبر شاهد على صدق من ظهرت على يديه ، ولاسيما أنها تظهر على يد من لم يعرف بالتبريز فيما اشتهر فى زمنه ألا ترى أن سيدنا موسى عليه السلام لما أرسل فى بيئة اشتهرت بالسحر أعطاه الله بعض آياته مناسبة لما اشتهر فى زمنه فكانت آيته الكبرى[2] هى العصا تكون فى يده عصا جامدة لا حس فيها فيلقيها فإذا هى حية تسعى ، ولذلك لما حشر فرعون السحرة بحبالهم وعصيهم حتى خيل إلى الرائى من سحرهم أنها تسعى ، وألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون . كان أول من آمن بالله هم السحرة لأنهم علموا علم اليقين أن عصا موسى ليست من السحر فى شىء ، وأن ذلك لن يكون إلا من فعل القهار الذى لا يغالب ، اقرأ قول الله تعالى فى سورة طه : ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِىَ وَإِمَّا أَن نكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ، قَالَ : بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُم**

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزل الوحى .

(٢) أعطى الله موسى عليه السلام تسع آيات قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ﴾ الآية ١٠١ من الإسراء . وقال فى سورة النمل : ﴿ **وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ** ﴾ الآية ١٢ وهذه الآيات هى : (١) العصا ، (٢) اليد ، (٣) الجراد ، (٤) القمل ، (٥) الضفادع ، (٦) الدم ، (٧) الطوفان ، (٨) السنون ، (٩) نقص الثمرات ، والعلماء وإن اتفقوا على العدة إلا أن بعضهم يضع البعض مكان البعض الآخر كفلق البحر فإن بعضهم عده بدل نقص الثمرات على اعتبار أن السنين ـ أى الجدب ـ ونقص الثمرات شىء واحد أنظر تفسير ابن كثير فى هذه الآية من سورة الإسراء .

وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ قُلْنَا : لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . فَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[1] .

فلم يجد فرعون ـ كما هو شأن المغلوب المكابر ـ بدا من أن يرميهم بأنه كبيرهم الذى علمهم السحر وتوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وتصليبهم فى جذوع النخل .

فلم ينل منهم التهديد ولا الوعيد لأنهم آمنوا عن يقين فقالوا : ﴿ **لَنْ نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ، وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنت قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾**[2] .

وسيدنا عيسى عليه السلام لما بعث فى وقت كثر فيه الاشتغال بالطب وإلى قوم برعوا فيه كانت آياته مناسبة لما اشتهر فى عصره فكان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله ويبرىء الأكمه[3] والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ، قال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِن رَّبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾**[4] مع أن عيسى عليه السلام لم يكن ممن عرفوا بالنبوغ فى الطب ولا ممن يمارسون هذه الصناعة فظهور مثل هذه الخوارق على يديه دليل صدق على أنها من صنع الله وأنه صادق فيما ادعاه .

وخاتم النبيين وسيد البشر رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه لما بعث فى وقت اكتمل فيه العقل البشرى ، وبلغت فيه البشرية سن الرشد ، واختير من قوم عرفوا بتملك

---

(١) سورة طه ٦٥ ـ ٧٠ .
(٢) طه ٧٢ ، ٧٣ .
(٣) الأكمه الذى ولد أعمى .
(٤) آل عمران ٤٩ .

زمام الفصاحة والبلاغة ، والتصرف فى فنون القول وضروبه حتى كان غاية الشريف منهم أن يكون شاعراً مفلقاً ، أو خطيباً مصقعاً كانت آيته الكبرى قرآنا يتلى بلغ أقصى درجات الفصاحة والبلاغة مع الإصابة فى القول ، والحكمة فى التشريع ، والصدق فى المعانى ، والنبل فى المقاصد ، والسمو فى الأخلاق والآداب .

المعْجِـزات النَّبويَّـة المحَمَّـديَّـة

المعجزة الكبرى : لقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية تنقضى بانقضاء أزمانها فهى لمن شاهدها أما معجزة نبينا الكبرى فكانت معنوية .

ذلك أن رسالات الأنبياء السابقين كانت لبعض الناس ، ولزمان مؤقت معين فهى محدودة بحدود الزمان والمكان ، بخلاف رسالة نبينا فهى للناس كافة ومستمرة إلى يوم القيامة قال سبحانه : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1] ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾[2] ﴿ **قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[3] .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما « **وَكَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً** » وقد جاءت فى وقت بلغت فيه البشرية الكمال العقلى كما ذكرنا فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون آيته الكبرى معنوية باقية على وجه الدهر ما بقى إنسان ذو فكر على وجه الأرض .

المعجزات الحسية :

وقد أراد الله سبحانه أن يجمع الفضل من أطرافه لخاتم رسله ، وحامل لواء الشريعة الباقية الخالدة فأعطاه معجزات أخرى حسية فضلاً عن معجزته الكبرى المعنوية فكان له من المعجزات الحسية مثل ما لغيره بل وأزيد وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سبأ ٢٨ .

(٣) الأعراف ١٥٨ .

وحكمة أخرى وراء ذلك هى أن الناس ليسوا سواء فى الإدراك والتفكير وسمو الفطرة فمنهم من يقف عند المحسوس ولا يسمو نظره إلى المعقول ومنهم من لا يقتنع بالمحسوس، وإنما يقتنع بالمعنوى المعقول فاقتضت حكمة الله عز شأنه أن تكون معجزات خاتم أنبيائه بعضها حسى وبعضها معنوى.

وقد ذكر أئمة التفسير فى قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾[1] أن المراد بمن رفعه الله درجات سيدنا محمد قال الإمام الزمخشرى فى تفسيره «الكشاف» عند هذه الآية: «أى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا ﷺ، لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتى ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الأنبياء؛ لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات، وفى هذا الإبهام من تفخيم فضله، وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العَلَمُ الذى لا يشتبه، والمتميز الذى لا يلتبس، ويقال للرجل. من فعل هذا فيقول: أحدكم أو بعضكم يريد الذى تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح، وأنوه بصاحبه، وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فقال: زهير والنابغة ثم قال: ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه، ولو قال. ولو شئت لذكرت نفسى لم يفخم أمره»[2] وذكر غيره من المفسرين نحواً من ذلك.

وقد نقل البيهقى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه ـ أنه كان يقول: «ما أعطى الله نبيًا شيئًا إلا وأعطى الله محمدًا ﷺ ما هو أكثر منه، فقيل له أعطى عيسى ابن مريم إحياء الموتى فقال الشافعى حنين الجذع أبلغ؛ لأن حياة الخشبة أبلغ من إحياء الميت، ولو قيل كان لموسى فلق البحر عارضناه بفلق القمر، وذلك أعجب، لأنه آية سماوية وإن

---

(١) البقرة ٢٥٣.

(٢) أنظر تفسير الكشاف عند هذه الآية.

سئلنا عن انفجار الماء من الحجر عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ لأن خروج الماء من الحجر معتاد ، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان عارضناه بالمعراج »[1] .

وهكذا لو نهجنا منهج إمام الأئمة الشافعى لما عجزنا عن أن نجد لكل معجزة لنبى سابق مثلا لها أو أبلغ منها لرسولنا ﷺ .

وقد ذكر الإمام النووى فى مقدمة شرح صحيح مسلم أن معجزات النبى ﷺ تزيد على ألف ومائتين ، وقال البيهقى فى المدخل : بلغت ألفا ، وقال الزاهدى من الحنفية : ظهر على يديه ألف معجزة وقيل أكثر من ذلك .

ولعل السبب فى هذه الكثرة الكاثرة ــ والله أعلم ــ أنهم عَدُّوا كل ما كان من دلائل النبوة معجزات فيدخل فيها الإرهاصات التى تقدمت البعثة المحمدية ، وما كان عند الميلاد بل وما سبق الميلاد من الأمارات الدالة على نبوته ﷺ ، وإلا فلو تتبعنا الروايات الصحيحة الموثوق بها لما بلغت المعجزات الحسية عشر هذا المقدار ،والقرآن الكريم نفسه اشتمل على معجزات كثيرة كالإخبار بالمغيبات السابقة واللاحقة وتحدى اليهود أن يتمنوا الموت فلعلهم عدوا أيضاً كل هذه معجزات مستقلة ، وبهذا يخلص لهم من المعجزات شىء كثير .

وقد اعتنى المحدثون فى كتبهم بجمع المعجزات النبوية ، فعقد الإمام البخارى لذلك باباً كبيراً فى صحيحه[2] ، وألف بعض الأئمة فى ذلك كتباً خاصة كما صنع الحاكم فى « الإكليل » ، وأبوسعيد النيسابورى فى « شرف المصطفى » وأبونعيم والبيهقى فى « دلائل النبوة » وذكر القاضى عياض فى « الشفا » من المعجزات النبوية شيئاً كثيراً .

المعجزات المحمدية منها ما تواتر ومنها ما لم يتواتر :

معجزة النبى الكبرى وهى القرآن ثابتة بالتواتر المفيد للقطع واليقين بلا ريب ، أما

(١) مناقب الشافعى ص ٣٨ .
(٢) عنوانه « باب دلائل النبوة » .

المعجزات الأخرى فمنها ما ثبت بالتواتر[1] وذلك كالمعجزات التى وردت فى القرآن الكريم أو وردت فى الأحاديث المتواترة ، ومنها ما لم يثبت بالتواتر بل ثبت بالروايات الآحادية الصحيحة وذلك كالمعجزات الثابتة بالأحاديث التى لم تتواتر ومن هذه ما استفاض واشتهر برواية الأئمة العدول الثقات حتى كاد يلحق بالمتواتر.

قال الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى بشرح صحيح البخارى »[2] « وأما ما عدا القرآن من نبع الماء بين أصابعه وتكثير الطعام ، وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدى به ، ومنه ما وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحد ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شىء كثير ، كما يقطع بوجود جود « حاتم » - يعنى الطائى - وشجاعة علىٍّ ، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير ، والجم الغفير ، وأفاد الكثير منها القطع عند أهل العلم بالآثار ، والعناية بالسير والأخبار ، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة ، لعدم عنايتهم بذلك بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظرى لم يكن مستبعداً » .

ومن هذه المعجزات الحسية الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى شرفه الله وبارك فيما حوله ثم العروج به من تلك البقعة المباركة إلى السماوات السبع وما فوقهن حتى انتهى إلى مستوى لم يصل إليه غيره ، وسنفيض القول فى هاتين المعجزتين عن قريب .

ومنها انشقاق القمر لما طلبوا من النبى ﷺ آية حتى صار فلقتين ، وقد نقل هذا عن

---

(١) المتواتر من الأخبار ما رواه جماعة كثيرة عن جماعة يحيل العقل تواطأهم على الكذب وكان مرجع الخبر إلى الحس والمشاهدة وهو قسمان : لفظى ومعنوى فاللفظى ما اتفقت فيه الروايات على لفظ واحد كحديث : « **من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** » والمعنوى : ما اختلفت فيه الروايات فى اللفظ ولكن المعنى واحد كالروايات الدالة على شجاعة سيدنا علىٍّ مثلا فهى بألفاظ مختلفة وفى مواطن متعددة ولكنها تدل على قدر مشترك وهو الشجاعة ، والقسم الأول نادر فى الأحاديث والثانى كثير.

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٤٥٣ ط البهية .

نفر من الصحابة بالروايات الصحيحة المستفيضة

ويرى بعض العلماء أن انشقاق القمر ثابت بالقرآن المتواتر بقوله تعالى : ﴿ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ** ﴾ .

ولولا امكان التأويل فى جواز إرادة أن ذلك سيكون بعدُ ، قُربَ قيام الساعة كما ذهب إليه بعض أهل العلم قديماً وحديثاً لكانت هذه المعجزة قطعية الثبوت .

ومن المعجزات الحسية نبع الماء من بين أصابعه أو البركة فى الماء القليل بالتفل فيه أو بلمسه أو بوضع شىء فيه كسهم من كنانته ﷺ .

وقد روى كل ذلك من طرق كثيرة حتى قال الإمامان عياض والقرطبى أن مجموعها يفيد العلم القطعى المستفاد من المتواتر المعنوى .

ومنها البركة فى الطعام القليل حتى يكفى العدد الكثير مما هو غير معهود فى العادة ، وقد روى هذا أيضاً بالطرق المتكاثرة التى تفيد التواتر المعنوى .

ومنها حنين الجذع ، روى البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « **أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ - كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى نَخْلَةٍ فَقَالَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ ٱللهِ أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَراً ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ ، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَراً فَلَمَّا كَانَ يَومُ الجُمُعَةِ دَفَعَ إِلَى المِنْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِىِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِىُّ - ﷺ - فَضَمَّهُ إِلَيْهِ يَئِنُّ أنين الصبى الذى يُسكنُ قال : كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا** » .

ولعمر الحق إذا كان الجذع حن شوقاً وتأثراً بما يسمع من الذكر والقرآن فما بال هؤلاء الذين تتلى عليهم آيات الله بكرة وعشيا ، وتلقى عليهم مواعظ النبى وكلمه الجوامع وعباراته المؤثرة - لا تلين قلوبهم ، ولا تقشعر جلودهم ، ولا تفيض بالدمع عيونهم « ألا إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

لقد كان الحسن البصرى واعظ عصره ، وفصيح وقته إذا حدث بحديث الجذع

يقول : يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .

ورحم الله الإمام البوصيرى حيث يقول :

وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ

ومن المعجزات الحسية رده ﷺ عين قتادة بن النعمان لما أصيب يوم أحد وسقطت على وجنته فعادت أحسن عينيه وأحَدَّهما .

ولما دخل عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان على الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال له : من أنت ؟ فقال مرتجلاً :

أَنَا ٱبْنُ الَّذِى سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهْ
فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَىٰ أَحْسَنَ الرَّدِّ

فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لأَوَّلِ أَمْرِهَا فَيَا حُسْنَهَا عَيْنًا وَيَا حُسْنَ مَا خَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز متمثلاً بقول الشاعر :

تِلْكَ المَكَارِمُ لَا قعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

وهذا قل من كثر من معجزاته ﷺ الباهرات وآياته البينات .

* * *

المنكِـرُونَ للمُعْجِـزات الحِسِّيَّـةِ

وقد دعانى إلى تفصيل القول فى المعجزات النبوية الحسية ما يزعمه بعض الباحثين والكاتبين من أنه ما دام القرآن آية دالة على صدق النبى ﷺ فنحن فى غنية عن النظر فى غيره من الآيات ولا سيما والكثير منها لم يثبت إلا بالطرق الآحادية التى لا تفيد القطع .

وكثيراً ما يجرهم هذا الكلام المتلبس بالتستر إلى إنكار المعجزات الحسية جملة ،

وأحب أن أقول لهؤلاء إن موقفهم من المعجزات الحسية وإنكارها حدا ببعض المبشرين والمستشرقين إلى الطعن فى النبى والوحى المحمدى بحجة أن النبى ليس له من المعجزات الحسية المتكاثرة ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وهكذا نراهم وإن لم يقصدوا قد أعطوا لأعداء النبى الطاعنين فيه خنجراً يساعدهم على الطعن فيه والنيل منه .

وردى على هؤلاء المنكرين للمعجزات الحسية أو التقليل من شأنها أن الشىء إذا تواردت عليه الأدلة والبراهين ازداد قوة وثباتاً حتى يصل العلم به إلى عين اليقين وليس من شك فى أن انضمام المعجزات الحسية إلى المعجزة الكبرى المعنوية وهى القرآن مما يعود بالقوة واليقين على الرسالة المحمدية ويقطع على الأقل قالة أعداء الإسلام ونبيه ولا أدرى أى حجة لهم فى استبعاد المعجزات الحسية وإنكارها وها هى كتب الله المنزلة جميعها تثبت لأنبياء الله ورسله آيات تفوق الحصر؟!!

ثم ما هذه البدعة السيئة ، بدعة أن الخبر ما دام لم يتواتر لا يقبل ولا يؤخذ به ولو أن كل مسألة من مسائل العلم والمعرفة لم نكتف فيها إلا بالتواتر لما سلم لنا من المعارف إلا القليل ، بل لو أننا طبقنا هذه القاعدة على علم التاريخ والأخبار والآداب لما سلم لنا منها إلا شىء أقل من القليل .

على أنه لاينبغى أن يغيب عن ذهن القارىء الفطن أن الرواية فى الإسلام بشروطها من اتصال الأسانيد ، ونقل العدول الضابطين ، عن مثلهم إلى آخر السند ، والحفظ واليقظة وعدم الغفلة ، ضمانات كافية لترجح الصدق والصواب ترجحاً قوياً على الكذب والخطأ ، وترجح الحفظ والضبط على جانب الغفلة والسهو وأن أئمة الحديث بذلوا جهداً جباراً فى غربلة الأحاديث وتنقيتها مما عسى أن يكون علق بها ونقد الرواة نقداً لم تبلغه أمة من الأمم لا فى القديم ولا فى الحديث وها أنت قد سمعت آنفاً ما ذكره أئمة الحديث وجهابذته من أن الكثير منها يكاد يبلغ مبلغ المتواتر وأن بعضها تواترت الرواية به بالفعل .

ولو أن هؤلاء المنكرين أو المشككين فى المعجزات الحسية تناولوا الروايات الحديثية بمثل ما تناولها به علماء أصول الرواية ، ونظروا فيها بمنظارهم الدقيق الحصيف ، وتذوقوها

بذوقهم السليم لعرفوا الحق ثم اعترفوا به .

وبعض هؤلاء المنكرين لا حجة لهم إلا استبعادها وزعمهم أن العقل لا يسلم بها .

وإنى أقول لهؤلاء : إن تحكيم العقل فى الغيبيات وخوارق العادات ليس من الحكمة فى شىء ، وللعقل منطقته التى لا يتجاوزها ورحم الله إمامنا الشافعى حيث يقول : «كما أن للبصر مجالاً لا يعدوه فكذلك للعقل مجال لا يتجاوزه» ولو أن كل شىء لا يقع تحت الحس أولا يستسيغه العقل أو يخالف المألوف والعادة ننكره لوقعنا فى متاهات من الضلال والغى والجحود والإنكار وقصارى القول أسوق للقارىء البصير هذه الحكمة الخالدة وهى أن كل شىء أخبر الشارع بوقوعه فهو فى دائرة الإمكان ، ومن يدَّعِ الاستحالة فعليه البيان .

الفصل الثانى

قُبَيْل الإسراء والمعراج

ها هى قريش وقفت عقبة كؤودا فى سبيل الدعوة الإسلامية ، وَعَادَت الرسول وأصحابه ، ولَجَّت فى العداوة والإيذاء ، وتجاوزت الحد فى الطغيان فقاطعت كل من ينتصر للنبي ولو حمية ممن كان على دينهم كما حدث فى مسألة الصحيفة التى آلوا فيها على أنفسهم مقاطعة بنى هاشم والمطلب حتى بلغ الجهد منهم مبلغه .

وها هى الأحداث المحزنة تتوالى ، فأبوطالب شيخ قريش ومانع رسول الله ﷺ من أذى قريش وناصره تنزل به المنية ويزيد من هول الفجيعة موت السيدة المهيبة فى قومها خديجة بنت خويلد زوجه التى واسته بنفسها ومالها والتى كانت له وزيرة صدق تعينه عند الشدائد ، وتسرى عن نفسه عند البلاء ، بما عهد عنها من عقل حصيف ، وقلب رحيم ، وصدر حنون ، وعبارات تغسل أثر الألم ، وتزداد إساءات قريش للنبي وصحبه ، وتقف من الدعوة المحمدية موقف العناد ، والإباء ، والتمنع ، فيبدو للنبى أن ييمم وجهه شطر الطائف عسى أن يجد فيها متنفساً للدعوة إلى سبيل ربه ، فذهب ومعه حِبُّه ومولاه زيد بن حارثة إلى الطائف ، وهنالك اتصل برؤساء ثقيف عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو ابن عمير الثقفى ، فعرض عليهم الإسلام ونصرته حتى يبلغ رسالة ربه ، فردوا عليه رداً قبيحاً ، وكانوا أسوأ حالا من أهل مكة ، فرجا منهم أن يكتموا أمره معهم على قريش حتى لا يشتد إيذاؤهم له ، فما وجد منهم مروءة ولا عهداً ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرجمونه بالحجارة حتى سال الدم الذكى من عقبيه وزيد ـ رضى الله عنه ـ يدرأ عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

فلجأ إلى ظل شجرة بجوار بستان لشيبة وعتبة ابنى ربيعة فكأنهما رقا له لما نزل به ، فأرسلا له غلاماً لهما يسمى « عداسا » بقطف من عنب فلما ابتدأ رسول الله ﷺ يأكل

قال : بسم الله الرحمن الرحيم فقال عداس . هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال النبي : من أى البلاد أنت وما دينك ؟ قال : أنا نصرانى من « نينوى » فقال النبي : من بلد العبد الصالح يونس بن متى فقال عداس : وما علمك به ؟ فقرأ عليه النبي ﷺ ما يتعلق بقصة يونس فى القرآن الكريم فأسلم عداس لما سمع حديث القرآن عنه .

توجهٌ إلى الله بالدعاء :

ولم يجد الرسول بدا ـ وقد فقد الرحمة والمواساة والنصرة من الناس ـ من أن يتوجه بقلبه وبصره إلى السماء داعياً الرحمن بهذا الدعاء الذى لا يصدر إلا من قلب مفعم بالإيمان ، ونفس راضية مطمئنة يهون عليها كل شيء من لأواء الحياة وشدائدها ، وبلائها فى سبيل الحق والمثل الإنسانية الرفيعة فقال : « **اَللّٰهُمَّ إليكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِى وَهَوانِى عَلَى النَّاسِ ، يَاْ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّى ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِى ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِى ؟ أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِى ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بك عَلَيَّ غضبٌ فَلاَ أُبالِى ، وَلَـٰكِنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِى ، اَللَّهُمَّ إِنِىِّ أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِى غَضَبُكَ ، أَوْ يَحِلَّ بِى سَخَطُكَ لَكَ العُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللهِ** » .

ثم قَفَل راجعا إلى مكة . وهو مهموم النفس ، مكلوم الفؤاد .

وفى الطريق جاءه جبريل فقال : إن الله أمرنى أن أطيعك فى قومك لما صنعوه معك فقال النبي : « **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** » فقال جبريل عليه السلام : صدق من سماك الرؤوف الرحيم .

فلما وصل النبي وصاحبه إلى مكة أبى عليه كفارها أن يدخلها لما بلغهم ذهابه إلى ثقيف واستنصاره بهم عليهم ، فأرسل إلى المطعم بن عدى مستجيراً وكان الرجل كريماً ذا مروءة فما لبث أن خرج إلى الرسول هو وبنوه لا بسين السلاح وأحاطوا به من كل جانب حتى دخل النبي المسجد الحرام وطاف حول الكعبة ولم يستطع أحد أن يُخفر جواره .

فى الإسراء والمعراج تسرية عن نفس الرسول :

وفى هذه الغمرة من المآسى والأحزان ، وصدود القوم عن الإيمان ، ومحاربة الدعوة بكل الطرق والوسائل ، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة كان من رحمة الله بعبده وحبيبه محمد أن يسرى عن نفسه الجريحة ، وفؤاده المحزون ، فكان « الإسراء » و« المعراج » حيث شاهد من آيات ربه ما شاهد ، وعاين من أمارات العناية الإلهية به وبدعوته ما زاده يقينا إلى يقين بنجاح دعوته ، وتبليغ رسالة ربه ، والنصر على أعدائه ، وأطلعه الله من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ النفس رضى ، والقلب نورا ، والصدر ثَلَجاً وطمأنينة .

ما هو الإسراء والمعراج* ؟

الاسراء : هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بإيلياء ـ مدينة القدس ـ فى جزء من الليل ثم رجوعه من ليلته .

المعراج : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السماوات السبع ، وما فوق السبع ثم رجوعه إلى بيت المقدس فى جزء من الليل .

ثُبُوتِ الإسْراءِ والمِعْراج

الإسراء ثابت بالقرآن والأحاديث الصحيحة المتكاثرة .

أما القرآن ففى قوله سبحانه : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعُبْدِهِ لَيْلاً منَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**

(*) الإسراء فى اللغة مصدر أسرى وهو سير عامة الليل ، ويقال : أسراه وأسرى به وعلى الثانية جاء القران الكريم .

وجمهور اللغويين على أن سرى وأسرى بمعنى واحد وبعضهم يفرق بينهما فيقول : أسرى : سار من أول الليل وسرى : سار من آخره . والمعراج بكسر الميم قال ابن الأثير : المعراح بالكسر شبه السلم مفعال من العروج أى الصعود كأنه آلة له مأخوذ من عرج يعرج عروجاً إذا صعد والمراد به المصدر أى العروج .

إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] سورة الإسراء .

وأما الأحاديث فسنشير إليها فيما بعد .

وأما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات العدول وتلقتها الأمة بالقبول ولو لم يكن إلا اتفاق صاحبى الصحيحين البخارى ومسلم على تخريجها فى صحيحيهما لكفى فما بالك وقد خرجها غيرهما من أصحاب كتب الحديث المعتمدة وكتب السير المشهورة .

ويرى بعض العلماء أن المعراج وإن لم يثبت بالقرآن صراحة ولكنه أشير إليه فى سورة النجم فى قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ** ﴾ النجم [١٣ـ ١٨] .

فقد روى عن ابن مسعود والسيدة عائشة ـ رضى الله عنهما ـ أن المرئى هو جبريل[2]

---

(١) بدأ الآية بلفظ سبحان لأن من قدر على هذا فهو مستحق للتنزيه والتقديس وفيها معنى التعجب وما أجدر الإسراء بأن يتعجب منه وفى ذكر العبد فى هذا المقام تشريف ، وتحذير أن يتخذ الإسراء وسيلة لرفع الرسول من مقام العبودية إلى مقام الألوهية وذكر لفظ « ليلا » مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلا للإشارة إلى أنه فى جزء من الليل والمسجد الحرام بمكة . وسمى حراما لحرمته والمسجد الأقصى : ببيت المقدس وسمى الأقصى لبعدها من المسجد الحرام والمراد بقوله « باركنا حوله » البركات الدينية والدنيوية أما بركاته الدينية فلكونه مقر الأنبياء ومهاجر الكثير منهم وقبلتهم ومهبط الملائكة وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرجال مسجد مكة ومسجد المدينة ، ومسجد بيت المقدس والتى يضاعف فيها ثواب الصلاة وأما الدنيوية فلما يحيط به من الأنهار الجارية والزروع والبساتين النضرة ﴿ **لنريه من آياتنا** ﴾ المراد بها ما أراه الله لنبيه فى هذه الليلة من مخلوقات الله وآلائه وجلاله وعجائب صنعه ، وما أفاض به على قلبه من فيوضات ربانية والتعبير بمن هنا غاية البلاغة لأن الله أرى نبيه بعض آياته لا كلها إذ آيات الله لا تنتهى ، ولا يتسع لها قلب بشر ، وما أبلغ أن يختم الآية بقوله : ﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾ فهو عدة للمؤمنين بالإسراء بالجميل ، والثواب الجزيل ، ووعيد للمكذبين والمرجفين .

(٢) وروى عن ابن عباس أن المرئى هو الله سبحانه وتعالى والأول هو الصحيح المعتمد وعلى رأى ابن عباس فالآية دالة أيضاً على المعراج لأنه يرى أن ذلك كان ليلة المعراج .

رآه رسول الله ﷺ على هيئته التى خلق عليها ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء ، والثانية ليلة المعراج قال العلامة ابن كثير فى تفسيره[١] ما خلاصته مع التوضيح : وقد رأى النبى ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : الأولى عقب فترة الوحى ، والنبى نازل من غار حراء فرآه على صورته له ستمائة جناح ، قد سَدَّ عِظَمُ خَلقِه الأُفُقَ فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أوحى وإليه أشار الله بقوله : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ** ﴾[٢] .

والثانية ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى وهى المشار إليها فى هذه السورة ـ النجم ـ بقوله : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ** ﴾ .

* * *

الإِسْــراء والمِعْــراج بالجسَــدِ والرُّوحِ

جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهما كانا فى ليلة واحدة ، وأنهما كانا بجسده وروحه ﷺ ، وهذا هو الذى يدل عليه قوله تعالى فى مفتتح سورة الإسراء السابقة ﴿ **بعبده** ﴾ وليس ذلك إلا الروح والجسد .

وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها وأنىٰ هو ؟

وفى الأحاديث الصحيحة أنه شق صدره الشريف ، وركب البراق وعرج به إلى السماء ، ولاقى الأنبياء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس وأن الله كلمه ، وأنه صار يرجع بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل ، مما يؤكد أنهما كانا بجسده الشريف وروحه ، وينفى ما عدا ذلك .

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوى ج ٨ ص ٩٦ ومابعدها ط المنار .

(٢) الضمير فى قوله « فأوحى » عائد على جبريل وهو الظاهر المقبول لأنه المتحدث عنه وقيل عائد على الحق تبارك وتعالى وهو بعيد مردود لما فيه من تفكيك النظم الكريم وأما الضمير فى « عبده » فهو راجع إلى الله سبحانه فحسب أى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بوساطة جبريل .

القائلون بأنهما كانا بالروح :

وذهب بعض أهل العلم إلى أنهما كانا بروحه عليه الصلاة والسلام ونسب القول به إلى السيدة عائشة والسيد معاوية رضى الله عنهما ، وذكروا فى هذا أنه روى عن السيدة عائشة أنها قالت : « ما فَقَدْتُ[1] جَسَدَ رسولِ الله ﷺ وَلَكِنْ أُسْرِى بِرُوحِهِ » ، وهو حديث غير ثابت وهنه القاضى عياض فى « الشفا » سنداً ومتناً وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع .

ومما يضعف هذا الأثر ويرده أن السيدة عائشة رضى الله عنها لم تكن حينئذ قد دخل بها رسول الله ؛ فإن من المتفق عليه أن رسول الله ﷺ لم يبن بها إلا بعد الهجرة ، وإن خطبها قبلها بسنة وقيل بسنتين .

ومما يرد ما نسب إلى عائشة أيضاً أن الثابت عنها أنها كانت تنكر على من يقول : إن محمدا رأى ربه ليلة المعراج ، وتستدل بآيات من الكتاب على حسب اجتهادها وفهمها ، فلو كانت ترى هذا الرأى الذى نسبوه إليها زوراً لكان أقرب شىء فى ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن بجسده ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك .

والظاهر أن ما روى عن معاوية رضى الله عنه غير صحيح أيضاً وهو حين الإسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد .

ولو سلمنا ما نسب إليهما ـ جدلاً ـ فظواهر القرآن والسنة الصحيحة ترده .

القائلون بأنهما كانا مناما :

وأبعد من هذا القول قول من ذهب إلى أنهما كانا فى المنام ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾[2] .

وقالوا : الآية تشير إلى الإسراء والمعراج ، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية ،

---

(١) روى فقدت مبنيا للمعلوم وروى فقد مبنيا للمجهول .

(٢) سورة الإسراء الآية ٦٠ .

وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس فى تفسيرها : « هى رؤيا عين أُرِيها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة الملعونة شجرة الزَّقُّوم » رواه البخارى فى صحيحه ، والترمذى والنسائى فى سننهما ، ومراد ابن عباس برؤيا العين جميع ما عاينه ﷺ ليلى أسرى به من العجائب السماوية والأرضية .

وابن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن ومن أعلم الناس بالعربية وكان إذا سئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهداً من كلام العرب فكلامه حجة فى هذا فالرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضاً .

ومن شواهد ذلك من لغة العرب الذين يحتج بكلامهم قول الراعى يصف صائداً :

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادُهُ   وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلاَ بِلُهْ

وأيضاً لو كان فى المنام لم يكن فيها شىء يستعظم ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب الرسول ، ولما ارتد بعض ضعفاء الإيمان ممن كانوا أسلموا ؛ إذ كثير من الناس يرون فى منامهم مثل ذلك وأكثر فيرى الرائى أنه ذهب إلى السماء أو إلى أقصى المعمورة ، فاستبعادهم لذلك ومسارعتهم إلى تكذيب الرسول عقب إخبارهم من أظهر الأدلة على أنهم فهموا من إخبار النبى أنهما كانا فى اليقظة لا فى المنام .

الفرق بين كونهما بالروح وكونهما مناماً :

ومما ينبغى أن يعلم ان بعض الكاتبين فى الإسراء والمعراج يخلط بين قول من يقول : كانا مناما ، وقول من يقول : كانا بالروح ، وبينهما فرق ، فمن قال بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هى التى انتقلت وجالت فى هذه المعانى المقدسة فى الأرض وفى السماء . وأما من قال فى المنام فإنما أراد حدوث صور وانكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال ومفارقة للبدن .

وقد تنبه إلى هذا الفرق الدقيق العلامة ابن القيم فى كتابه زاد المعاد قال : [وقد نقل ابن اسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا : إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده ، ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك .

ومما ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناما وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولا : كانا مناماً ، وإنما قالا : أسرى بروحه ولم يفقد جسده ، وفرق بين الأمرين : فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى صورة المحسوس فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة ، وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ولم تذهب وإنما ملك الرؤيا ضرب المثال .

والذين قالوا عرج برسول الله ﷺ طائفتان : طائفة قالت عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه[١] ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة ، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماء سماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدى الله عز وجل فيأمر فيها بما شاء ، ثم تنزل إلى الأرض فالذى كان لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم[٢] ، لكن لما كان رسول الله ﷺ فى مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهو حى لا يتألم بذلك عرج بذات روحه المقدسة من غير إماتة ومن سـواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، والأنبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان ، وروح رسول الله ﷺ صعدت إلى هناك فى حال الحياة ثم عادت ، وبعد وفاته استقرت فى الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء ، ومع هذا فلها إشراف على البدن ، وإشراق وتعلق به ، بحيث يرد السلام على من سلم عليه ، وبهذا التعلق رأى موسى قائماً يصلى فى قبره ، ورآه فى السماء السادسة ، ومعلوم أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد إليه ، وإنما ذلك مقام روحه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها فرآه يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة .

كما أنه ﷺ فى أرفع مكان فى الرفيق الأعلى مستقراً هناك وبدنه فى ضريحه غير

---

(١) وهناك طائفة ثالثة تقول : كان فى المنام كما ذكرنا ورددنا قولهم .

(٢) كل هذا توجيه لرأى من يرى أنهما كانا بالروح وفق فى شرحه لا رأى له كما نعلم [أى ليس هذا رأى لابن القيم] : الناشر .

مفقود ، وإذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الأعلى .

ومن كثف إدراكه ، وغلظت طباعه عن إدراك هذا فلينظر إلى الشمس فى علو محلها وتعلقها ، وتأثيرها فى الأرض ، وحياة النبات والحيوان بها .

هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شأن وللأبدان شأن ، وهذه النار تكون فى محلها وحرارتها تؤثر فى الجسم البعيد عنها مع أن الارتباط الذى بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف][1] .

وهذا الفصل القيم من النفاسة بمكان آثرت ذكره كله لما فيه من الفوائد الجمة ، والإبانة عن مسألة كثيراً ما يسأل الناس عنها وهى تعلق الأرواح بالأجساد .

* * *

الإِسْــراءُ وَوحْــدَةَ الوُجُــود

ولا يفوتنى وقد عرضت للآراء فى الإسراء والمعراج وبينت الصحيح منها من الزائف أن أعرج على رأى ساقه الدكتور محمد حسين هيكل ـ رحمه الله ـ فى كتابه « حياة محمد » عليه الصلاة والسلام وهو تصوير الإسراء والمعراج تصويراً روحياً مبنياً على فكرة « وحدة الوجود » .

وهاك ما ذكره فى كتابه بعد ما ذكر خلاف العلماء فى الإسراء والمعراج أهو بالجسد أم بالروح ؟ قال : « ففى الإسراء والمعراج فى حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو ، معنى أكبر من هذا الذى يصورون ، والذى قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل . فهذا الروح القوى قد اجتمعت فيه فى ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها ، لم يقف أمام ذهن محمد وروحه فى تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التى تجعل حكمنا نحن فى الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة . والمدبرة ، والعاقلة

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ج ٢ ص ٤٨ ـ ٤٩ ط الحلبى .

تداعت فى هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله فى روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده ، وصوره فى تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل ، والجمال والحق فى مغالبتها ، وتغلبها على الشر والنقص ، والقبح ، والباطل ، بفضل من الله ومغفرة .

وليس بمستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية فإذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا من عجز عن متابعته فى سمو فكرته ، وقوة إحاطته بوحدة الكون فى كماله ، وفى جهاده لبلوغ هذا الكمال فلا عجب فى ذلك ولا عيب فيه . »[1]

بطلان فكرة وحدة الوجود :

وفكرة وحدة الوجود فكرة خاطئة وافدة إلى الإسلام فيما وفد إليه من آراء فاسدة وهى من مُخَلَّفات الفلسفات القديمة ، وقد انتصر لها وتشيع بعض المتصوفة الذين ينتسبون إلى الإسلام ، وكتبوا فيها فكان عاقبتهم الإلحاد فى الله وصفاته .

وقد أبان بطلانها كثير من علماء الأمة الراسخين فى العلم ، المتثبتين فى العقيدة والقول بها يؤدى إلى قول بالطبيعة ، وقدم العالم وإنكار الألوهية ، وهدم الشرائع السماوية التى قامت على أساس التفرقة بين الخالق والمخلوق ، وبين وجود الرب ، ووجود العبد ، وتكليف الخالق للخلق بما يحقق لهم السعادة ، ومقتضى هذا المذهب أن الوجود واحد ، فليس هناك خالق ومخلوق ، ولا عابد ومعبود ، ولا قديم وحادث ، وعابدوا الأصنام والكواكب والحيوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق ؛ لأن وجودها هو وجود الحق إلى آخر خرافاتهم التى ضلوا بسببها ، وأضلوا غيرهم ، والتى أضرَّت بالمسلمين ، وجعلتهم شيعًا وأحزابًا ، ولقد بلغ من بعضهم أنه قال : إن النصارى ضلوا لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين ، وقال بعض المعتنقين لهذه الفكرة الفاسدة :

---

(١) حياة محمد ص ١٨٩ ط الثانية .

العَبْدُ حَقٌّ والرَّبُّ حَقٌّ   يا ليتَ شِعرى مَن المُكَلّفُ ؟
إن قلت : عبدٌ فذاك ربّ   أو قلت ربٌّ أنّى يُكلّفُ ؟

قال العلامة تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى فى كتابه « الرد على المنطقيين »[1] بعد أن ذكر الفناء المحمود ، والفناء المذموم :

«ولهذا لما سلك ابن عربى وابن سبعين وغيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك « الفناء عن وجود السوى » فجعلوا الموجود واحدا ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق ، وحقيقة الفناء عندهم أن لا يرى إلا الحق ، وهو الرائى والمرئى ، والعابد والمعبود ، والذاكر والمذكور ، والناكح والمنكوح ، والآمر الخالق هو المأمور المخلوق ، وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم ، وعباد الأصنام ما عبدوا غيره ، وما ثم موجود مغاير له البتة عندهم وهذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين ..

وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون : إن فرعون أكمل من موسى ، وأن فرعون صادق فى قوله : أنا ربكم الأعلى ؛ لأن الوجود فاضل ومفضول ، والفاضل يستحق أن يكون رب المفضول ، ومنهم من يقول : مات مؤمناً ، وأن تغريقه كان ليغتسل غسل الإسلام » .

وهكذا نرى أن هذه العقيدة الزائفة تصادم نصوص الدين القطعية ، ولا توافق شيئاً من الكتاب والسنة النبوية ، وأن العقيدة الإسلامية السمحة براء من مذهب وحدة الوجود .

وتفسير الإسراء والمعراج بهذه الفكرة يقتضى إنكارهما على حسب ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة المشهورة فليس هناك إسراء حقيقة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بذات النبى ﷺ ، وليس هناك عروج بالنبى من بيت المقدس إلى السماوات السبع ، ولا صلاة بالأنبياء ، ولا لقاء ، ولا تسليم ، ولا تكليم .

---

(١) ص ٥٢١ ط الهند .

وما الداعى إلى ذلك ما دام الكون كله قد اجتمع فى روح النبى كما قال صاحب هذا الرأى ، فالمسجد الحرام والأقصى فى روحه ، والسماوات وما فيهن فى روحه ! !

ثم ما الداعى إلى كل هذا التكلف والإغراب من الدكتور هيكل ـ رحمه الله ـ فى فهم نصوص صريحة جاءت بلسان عربى مبين .

والإسراء والمعراج كما جاء بهما القرآن والأحاديث الصحيحة أقرب منالاً وأشد استساغة لعقول الناس لهما مما ذهب إليه .

ولو جلست زماناً لتفهم رجلاً أميًّا أو متعلماً بالإسراء والمعراج على ما رأى الدكتور ما أنت بمستطيع إفهامه هذه الألغاز والطلاسم التى حاول بها إحداث رأى جديد لا يدرى سبق إليه أم لا ؟

وهل تصوير الإسراء والمعراج بهذا التصوير إلا إشكال على عقول الكثرة من الناس ، ومخاطبة لهم بما لا تبلغه عقولهم ومداركهم ، وقد أمرنا أن نحدث الناس بما يعقلون وأن ندع ما ينكرون ، وفى الحكم الذهبية عن الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود رضى الله عنه « ما أنت بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تبلغُهُ عُقُولُهُم إلا كانَ فتنةً لبعضِهم » .

الحق أن الإغراب على القراء بمثل هذه الأفكار المسمومة تشكيك لهم فى عقائدهم الصحيحة وتسميم لعقولهم بالآراء الزائفة ، والحق أبلج واضح لا يحتاج إلى تكلف وتعمل وتفلسف من غير داع ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ .

* * *

مَتَى كَانَ الإِسْــــرَاءُ وَالمِعْــــرَاجُ ؟

يكاد يجمع العلماء المحققون على أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة المحمدية وأنهما كانا فى اليقظة لا فى المنام .

وقد تظاهرت على هذا الروايات المتكاثرة فى كتب الحديث المعتمدة المشهورة ، وكتب السير الموثوق بها .

وما روى من أنهما كانا قبل أن يوحى إليه ، أو أنهما كانا مناما كما فى حديث شريك بن عبدالله[1] عن أنس فهو غلط من شريك ، وقد خالف فيه شريك أصحاب أنس فى إسناده[2] ، ومتنه بالتقديم والتأخير ، والزيادة المنكرة ، وأشد أوهامه ـ أغلاطه ـ قوله : سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أن جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه » .

والإمام البخارى قد أخرج فى صحيحه الرواية الصحيحة عن أنس فى عدة مواضع من كتابه ، وذكر أيضاً هذه الرواية التى وقع فيها الغلط ، ولعل ذلك لينبهنا إلى ما فيها من غلط ، وللإمام البخارى فى سوق الروايات والمتون المكررة شفوف نظر ، ومقاصد دقيقة لا يقف عليها إلا من أطال النظر فى هذا الكتاب الجليل .

وقد نبه على غلط شريك بن عبدالله فى روايته الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه فقد قال بعد ذكر سند رواية شريك : « وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البنانى ، وقدم فيه شيئاً وأخر ، وزاد ونقص »[3] .

وأنكر ما فى حديث شريك من أوهام أيضاً الأئمة : الخطابى ، وابن حزم ، والقاضى عياض ، والنووى وغيرهم .

وقال الحافظ عبدالحق فى كتابه « الجمع بين الصحيحين » بعد ذكر رواية شريك « هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس ، زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة ، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين كابن شهاب ـ أى الزهرى ـ وثابت البنانى ، وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث » .

---

(١) شريك بن عبدالله بن أبى نمر تابعى مدنى وهو أكبر من شريك ابن عبدالله النخعى القاضى .
(٢) يعنى أصحابه الذين رووا عنه .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢١٧ .

فى أىّ سَنَـــةٍ وَشَهْـــر
كَانَ الإسْـــــرَاء والمِعْـــــراج

وقد اختلف فى أى سنة كانا ؟ وفى أى شهر ؟

قال البعض إنهما كانا قبل الهجرة بسنة وإلى هذا ذهب الزهرى وعروة بن الزبير ، وابن سعد ، وادعى ابن حزم الإجماع على هذا .

وقيل قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بأكثر من سنتين . والذى عليه الأكثرون والمحققون أنهما كانا فى شهر ربيع الأول وقيل فى شهر ربيع الآخر وقيل فى شهر رجب وهو المشهور بين الناس اليوم والذى تركن إليه النفس بعد البحث والتأمل أنهما كانا فى ربيع الأول فى ليلة الثانى عشر منه أو السابع عشر منه .

وقد ذكر ابن كثير فى « البداية والنهاية » أثرًا عن جابر وابن عباس يشهد لذلك قالا : « وُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عامَ الفِيلِ يَوْمَ الاثنين الثَّانِى عَشَر من ربيع الأول ، وفيه بُعِثَ ، وفيه عُرِجَ بِـهِ إلى السَّمَاء ، وفيه هَاجَرَ » .

فربيع الأول من عمر الدعوة الإسلامية بمنزلة الربيع من الزمان قال ابن كثير بعد ذكر الرواية السابقة : « وقد اختاره الحافظ عبدالغنى بن سرور المقدسى فى سيرته ، وقد أورد هنا حديثًا لا يصح سنده ذكرناه فى فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين منه والله أعلم » .

ثم قال : « ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول جمعة من رجب وهى ليلة الرغائب الذى أحدث فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم »

إمْكَـان الإسْـرَاء والمِعْـراج

تكاد تنحصر شبه المخالفين فى الإسراء والمعراج بالجسد فى استبعاد الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ثم الصعود إلى السماوات العُلَىٰ ثم الرجوع من حيث أتى فى جزء من الليل ، وفى أن القرآن الكريم لم يذكر المعراج كما ذكر الإسراء ، وفى أن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام فى الأفلاك والسماوات وذلك مستحيل .

وفى أن الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية محدودة بثلاثمائة كيلو مترا تقريبا فمن جاوزها صار عرضة للموت المحقق لعدم وجود الهواء الذى لا بد منه للحياة .

وهى شبه لا تثبت أمام البحث العلمى الصحيح .

فالإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلاً أخبر بهما الصادق المصدوق ﷺ فى القرآن الكريم المتواتر وفى الأحاديث الصحيحة المشهورة فوجب التصديق بهما ومن ادعى استحالتهما فعليه البيان وهيهات ذلك وكونهما مستبعدين عادة لا ينهض دليلاً ولا شبه دليل على الاستحالة وهل المعجزات إلا أمور خارقة للعادة كما قدمنا فى صدر هذه الرسالة ؟ ولو أن كل أمر لا يجرى على سنن العادة جدير بالإنكار لما ثبتت معجزة نبى من الأنبياء .

ثم ما قول المنكرين لمثل هاتين المعجزتين فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة ، وصواريخ جبارة تقطع آلاف الأميال فى زمن قليل فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك أفيستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى والقدر أن يسخر لنبيه « براقا » يقطع هذه المسافة فى زمن أقل من القليل ؟

ولست أقصد بهذا أن الإسراء والمعراج من جنس ما يقدر عليه الناس فحاشا لله أن أريد ذلك وإنما أردت تقريبهما لعقول من ينكرونهما بما هو مشاهد ملموس .

وأما شبهة أن المعراج لم يذكر فى القرآن كما ذكر الإسراء فيدفعها ما قدمته من أن المعراج أشير إليه فى القرآن وذكر وإن لم يكن ذلك تصريحاً ولو سلمنا عدم ثبوته فى القرآن فلا ينبغى أن يكون ذلك سبباً للإنكار فما الأحاديث إلا مبينة للقرآن ومتممة له وهى

الأصل الثانى من أصول التشريع فى الإسلام ، ومعرفة الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، وإثبات الآيات والمعجزات ، ولو أننا قصرنا الدين ومسائله ، على القرآن الكريم فحسب لفرطنا فى كثير من الأحكام والآداب ، والآيات الواضحات الدالة على نبوة النبى ﷺ .

وأما شبهة أن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام وهو مستحيل فنظرية قديمة عفى عليها الزمان ، وأبطلتها النظريات العلمية الحديثة . فقد انتهى بحث العلماء إلى أن الكون كان قطعة واحدة ، ثم تناثرت أجزاؤه . وانفصل بعضها عن بعض حتى غدا من ذلك العالم الأرضى والعلوى .

وأعتقد أن هذه المسألة أصبحت غير ذات موضوع بعد التقدم العظيم ، والخطوات الواسعة التى خطاها العلماء فى غزو الفضاء والتنقل بين الأجواء والدوران حول الأرض ، وها هم اليوم يفكرون فى إنزال إنسان على وجه القمر[1] ، ومن يدرى ؟ فلعلهم بعد الوصول إلى القمر يفكرون فى الوصول إلى غيره من الكواكب والأفلاك ، ولا ندرى ماذا سيتمخض عنه الغد إن شاء الله .

وإنى لأنتهز هذه المناسبة لأؤكد أننا معشر علماء الإسلام نرحب بتقدم العلوم والمعارف الكونية ، وأننا ندعو إلى الازدياد من هذه العلوم لأننا على يقين أن تقدم العلوم والكشوف الكونية لا يزيد الإسلام إلا قوة ، والقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلا ثباتاً واقتناعاً للعقل بهما .

وكيف لا نرحب ولا ندعو وهذا قول الحق تبارك وتعالى نقرؤه صباحاً ومساءاً ، ونعتقد صدقه وحقيته : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[2] بل وأنا على ذلك من الشاهدين .

وإذا جاز لأناس عاشوا فى أزمان ماضية لم تتقدم فيها العلوم الفلكية والكونية استبعاد

---

(١) وقد استطاعوا وأصبح أمراً مفروغاً منه وهذه بعض قدرة البشر فما بالنا بقدرة خالق البشر سبحانه وتعالى ؟ [الناشر] .

(٢) سورة فصلت الاية ٥٣

الإسراء والمعراج فلا يجوز ذلك قط ممن عاش فى عصرنا ورأى وسمع بالكثير من المخترعات والمستكشفات التى كانت تعد فيما مضى ضربا من الخيال والمحال .

وأما شبهة أن الهواء ينعدم على بعد خاص فهى لا تبرر الإنكار فها هم الغواصون يمكثون تحت أعماق الماء الساعات الطوال اكتفاء بما معهم من هواء مخزون يتنفسون منه . وها هم رواد سفن الفضاء قد تغلبوا على هذه المشكلة بل وعلى ما هو أشكل منها وأعظم خطراً ، ويختزنون معهم فى سفنهم من الهواء ما يكفيهم للتنفس ويحفظ عليهم حياتهم أياماً لا ساعات .

فإذا تمكن الإنسان على عجزه وقدرته المحدودة ، أن يتغلب على ذلك أفنستبعد على قدرة الله أن يحفظ حياة نبيه فى الطبقات التى ينعدم فيها الهواء بأى وسيلة من الوسائل ؟

ومن بعد ذلك كله نقول كلمة الإيمان :

إن الله سبحانه الذى خلق السماوات والأرضين معلقة فى الفضاء بلا عمد وأمسكها أن تزولا وتسقطا ، وأبدعها أيما إبداع ، وربط الأسباب بالمسببات ، وأوجد نواميس الكائنات ، وعلم ما يحتاج إليه كل كائن حى من إنسان أو حيوان أو نبات . وقدر لكل ما يحفظ له حياته لقادر أن يسرى بنبيه من مكة إلى بيت المقدس ثم يعرج به إلى سدرة المنتهى فى جزء من الليل وأن يحفظ عليه حياته فى عروجه من الأرض إلى السماء .

* * *

الأحَـاديث الوَارِدة فِى الإسْـــرَاء والمِعْــراج

ولقد روى أحاديث الإسراء والمعراج كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ـ وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون وخرجها أئمة الحديث فى كتبهم كالأئمة : البخارى ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذى ، والنسائى ، والبيهقى ، وابن جرير الطبرى وغيرهم ، وذكرها الإمامان محمد بن اسحاق وابن هشام فى سيرتيهما .

قال العلامة ابن كثير فى تفسيره : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » بعد أن ذكر حديث الإسراء والمعراج من طريق أنس وتكلم عليه

فأفاد ، وأجاد « وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب ، وعلى ، وابن مسعود ، وأبى ذر ، ومالك بن صعصعة ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى ، وابن عباس ، وشداد بن أوس ، وأُبَىّ بن كعب ، وعبدالرحمن بن قرظ ، وأبى حَبَّة[1] ، وأبى ليلى الأنصاريين ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبى أيوب الأنصارى ، وأبى أمامة ، وسمرة بن جندب ، وأبى الحمراء ، وصهيب الرومى ، وأم هانىء ـ بنت أبى طالب ـ وعائشة ، وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين منهم من سَاقَهُ بطوله ، ومنهم من اختصره على ما وقع من المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِم ، وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ** ﴾[2] .

وقد تكفل بذكر غالب الروايات الواردة فى الإسراء والمعراج الإمام ابن كثير فى تفسيره فمن أراد استقصاء الروايات فليرجع إليه .

وسأكتفى هنا بذكر أوثق الروايات وأصحها وهى التى اتفق عليها الإمامان الجليلان البخارى ومسلم أو انفرد بها أحدهما .

* * *

رِوَايَـة البُخَـارى فِى صَحِيحِـهِ[3]

قال البخارى حدثنا هدبة بن خالد قال : حدثنا همام بن يحيى قال : حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال :

---

(١) أبو حبة بفتح الحاء وبالباء المشددة على المشهور ، وعند القابسى بمثناه تحتانية وغلط فى ذلك ، وذكره الواقدى بالنون .

(٢) تفسير ابن كثير والبغوى ج ٥ ص ٦٦ .

(٣) انظر باب المعراج من صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٦

« بَيْنَمَا أَنَا فِى الحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَال ـ فى الحِجْرِ [١] ـ مُضْطَجِعًا إذ أَتَانِى آتٍ فَقَدَّ [٢]
قال ـ أى قتادة ـ وسمعته يقول : فَشَقَّ ما بيْنَ هذه إلى هذه فقلت للجارُود [٣] ما يعنى به
قال من ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلى ثُنَّتِهِ [٤] فاستخرج قلبى ، ثم أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إيمانًا
وَحِكْمَةً [٥] ، فغُسِلَ قَلْبِى ثُمَّ حُشِىَ ثم أُعِيدَ ، ثم أُتِيتُ بدابَّة دون البَغْل ، وفوقَ الحمار
أبيضَ فقال له الجارود : هو البُرَاق [٦] يا أبا حمزة ـ كنية أنس ـ قال أنس : نعم يضع
خَطْوَه عند أقصى طَرْفِهِ [٧] فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدُّنيا
فاستفتح [٨] فقيل : من هذا ؟ قال جبريلُ ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وَقَد
أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ [٩] قال نعم ، قال مرحباً به فنعم الـمَجِىءُ جاء ، فَفُتِحَ ، فلما خَلَصْتُ فإذا فيها
آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فَسَلِّم عليه ، فسلَّمتُ عليه فردَّ السلام ثم قال : مرحباً بالابن
الصالحِ والنَبِىِّ الصالح [١٠].

ثم صَعِدَ بى حتى أَتَى السماء الثانية فاسْتَفْتَحَ قيل من هذا ؟ قال : جبريلُ ، قيل :
ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم قيل . مرحباً به فنعم المجىءُ
جاء ، فَفُتِحَ ، فلما خَلَصْتُ إذا يحى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وهما ابنَا الخَالَةِ [١١].

---

(١) الحطيم هو الحجر على الصحيح والراوى لما لم يتأكد أى اللفظين قال ؟ ذكرهما على صيغة الشك ليخرج من العهدة ، وهى أمانة فى النقل مشكورة .

(٢) القد هو القطع .

(٣) لعله الجارود بن أبى سبرة البصرى صاحب أنس وأحد الرواة عنه .

(٤) الثغرة المكان المنخفض بين الترقوتين ، والثنة بضم الثاء وتشديد النون ما تحت السرة .

(٥) يعنى مملوءة بشىء يترتب عليه زيادة الإيمان وكمال الحكمة .

(٦) بضم الباء وتخفيف الراء مشتق من البرق إذ سرعته فى سيره مثل سرعة البرق فى لمعانه .

(٧) يعنى عند منتهى بصره وما أشد سرعة من كان على هذا الحال .

(٨) يعنى طلب الفتح .

(٩) يعنى أوقد أرسل إليه للعروج إلى السماء ، وأما أصل بعثته فمشهورة عند الملأ الأعلى معروفة لهم .

(١٠) اقتصر الأنبياء الذين لقيهم فى السماء على وصفه ﷺ بصفة الصلاح لأن فيها جماع الخبر كله ، والصالح هو الطيب فى نفسه الذى يقوم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد .

(١١) لأن أم كل واحد منهما خالة للآخر وهذا على أن مريم وإيشاع أم زكريا أختان وقيل : إن إيشاع خالة مريم فيكون فى العبارة تسامح ولا يزال العرف عندنا فى مصر يعتبر خالة الأم خالة للأبن .

قال : هذا يحي وعيسى ـ عليهما السلام ـ فَسَلِّم عليهما ، فسلمت ، فَرَدَّا ، ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صَعِدَ بى إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ؛ قيل . مرحباً به فنعم المجىء جاء ، فَفُتِحَ ، فلما خَلَصْتُ إذا يوسف . قال هذا أخوك يوسف فسَلِّم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح ، والنبىِّ الصالح .

ثم صَعِدَ بى إلى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أَوَقَدْ أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجىء جاء ، فَفُتِحَ ، فلما خَلَصْتُ فإذا إدريس . قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحباً به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا هٰرون قال : هذا هـرون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه : قال : نعم قال . مرحباً به فنعم المجىء جاء ، فلما خَلَصْتُ فإذا موسى . قال هذا موسى فسلم عليه ، فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بَكَى . قيل له ما يبكيك ؟ قال : أَبْكِى لأَنَّ غُلاَماً[1] بُعِثَ بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صَعِدَ بى إلى السماء السَّابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل :

---

(١) لم يرد موسى عليه السلام التقليل من شأن النبى ﷺ وحاشا لله أن يريد ذلك . وإنما أراد صغر السن بالنسبة لمن كان أكبر منه سنا من الأنبياء ومع هذا فقد أعطاه الله على صغر سنه ، وقصر مدته ما لم يعط أحداً ممن هو أسن منه وأطول عمراً وزمناً .

ومن معك ؟ قال : محمد قيل : وقد بعث إليه ؟ قال نعم قال . مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خَلَصْتُ فإذا إبراهيم . قال : هذا أبوك فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم رُفِعْتُ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى[1] فإِذَا نَبِقُهَا مثلُ قِلاَلِ هَجَرَ[2] وإذا ورَقُهَا كآذان الفِيلَةِ[3] قال : هذه سدرة المُنْتَهى ، وإذا أربعة أنهارٍ : نهرانِ باطِنَان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة[4] ، وأما الظاهران فالنيلُ والفراتُ[5] ثم رُفِعَ لِى البيتُ المَعْمُورُ ثم أُتيتُ من خمْرٍ وإناء من لبن وَإِنَاءٍ من عَسَلٍ ، فأخذت اللبن فقال[6] هى الفطرة[7] التى أنت عليها وأمَّتُكَ .

ثم فُرِضَتْ علَّى الصلوات خمسين صَلاةً كُلَّ يومٍ ، فرجعت ، فَمَرَرْتُ على موسى فقال : بم أُمِرْتَ ؟ قال : أُمِرْتُ بخمسين صلاة كل يوم . قال : إنَّ أُمَّتَك لا تستطيعُ خمسين صلاةً كلَّ يوم ، وإنى قد جَرَّبْتُ الناسَ قَبْلَكَ ، وعالَجْتُ بنى إسرائيلَ أشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيفَ لِأُمَّتِكَ فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عنىِّ عشرا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّى عَشْراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأُمِرْتُ بِخَمْسِ صلواتٍ كلَّ يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أُمِرْتَ ؟ قلتُ أمرتُ بخمسِ صلوات كل يوم قال : إن أُمَّتَك لا تستطيعُ خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جرَّبت الناسَ قبلك ، وعالجتُ بنى إسرائيل

---

(١) سميت بذلك لأنها ينتهى إليها علم كل نبى مرسل ، وكل ملك مقرب ولم يجاوزها أحد إلا نبينا ﷺ .

(٢) قلال جمع قلة وهى الجرة والنبق الثمر يعنى أن ثمرها فى الكبر مثل القلال وكانت قلال هجر معروفة عند المخاطبين بهذا الحديث فلذلك وقع التمثيل بها وهجر : بفتح الهاء والجيم بلد بقرب المدينة .

(٣) يعنى فى الشكل والكبر .

(٤) هما الكوثر والسلسبيل .

(٥) سيأتى توجيه ذلك بما يطمئن إليه قلبك ويقتنع به عقلك .

(٦) القائل هو جبريل عليه السلام .

(٧) عبر عن اللبن بالفطرة ، لأنه أول ما يدخل بطن المولود ، ويشق أمعاءه ، وهو الغذاء الذى لم يكن بصنعة صانع غير الله ، والغذاء الكامل المستوفى للعناصر التى يحتاج إليها الجسم فى بنائه ونموه مع كونه طيبا سائغا للشاربين .

ـالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التَّخفيفَ لأمتك ، قال : سألت ربى حتى استحييت ، ولكن
ضى وأُسَلِّم قال : فلما جاوَزْتُ نَادَانى مُنَادٍ[1] أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِى وخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِى » .

* * *

رِوَايـة الإِمَـامُ مُسْلِم فى صَحِيحِـــهِ

وإليك رواية الإمام مسلم فى صحيحه المتفقة مع رواية البخارى .

قال الإمام مسلم . حدثنا محمد بن المثنى (قال) حدثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن
ـادة عن أنس بن مالك لعله قال عن مالك بن صعصعة ـ رجل من قومه ـ قال : قال
ـى الله ﷺ :

« بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِـمِ واليَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ : أحد الثلاثة بين
ـرجلين فأتيت ، فانطلق بى ، فَأتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَم فَشُرِحَ[2]
ـصَدْرِى إلى كذا وكذا قال قتادة : فقلت لِلَّذِى مَعِى : مَا يَعْنِى ؟

قال : إلى أسفلِ بطنه ، فاستخرَجَ قلبى فَغُسِل بماءِ زمزَم ثم أعيد مكانه ، ثم حُشِىَ
ـيماناً وحِكْمَةً ، ثم أُتيتُ بدابَّة أبيضَ يُقَالُ لهُ : البُراق فوقَ الحمار ، ودُونَ البَغْل يقعُ
ـخطْوُهُ عند أقصَى طَرْفِه ، فَحُمِلْتُ عليه ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستَفْتَحَ جبريلُ
ﷺ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريلُ قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيلَ : وَقَدْ
ـبعِثَ إليه ؟ قال نعم . قال فَفُتِحَ لنا وقال : مرحبا به ولنعم المجىء جاء قال . فأتينا على آدم
ﷺ وساق الحديث بقصته ، وذكر أنه لقى فى السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام ،
وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هرون صلى الله عليهم قال : ثم
انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فأتيت على موسى عليه السلام ، فسلمت عليه ،
فقال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح ، فلما جاوزته بكى ، فَنُودِىَ : ما يُبْكِيكَ ؟
قال : رب . هذا غلَامٌ بَعَثْتَهُ بعدى يَدْخل من أُمَّته الجنة أكثرُ مما يدخل من أمتى قال : ثم

(١) المنادى هو الله سبحانه إذ هذا الكلام لا يصدر إلا منه سبحانه وهذا من أقوى الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه ليلة المعراج بغير وساطة .

(٢) يعنى شق .

انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة فأتيت على إبراهيم » وقال فى الحديث .

وحدَّث نبى الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها[1] . نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، **فقلت : يا جبريل ما هذه الأنهار ؟ قال . أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .**

ثم رُفِعَ لى البيتُ المعمور فقلت . يا جبريل ما هذا ؟ قال . هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفَ مَلَكٍ إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم[2] **ثم أُتِيتُ بإناءين أحدهما خمر ، والآخر لَبَنٌ فعرضا عَلَيَّ فاخترت اللبن فقيل . أصبت . أصابَ اللهُ بك . أُمَّتُكَ على الفطرة**[3] .

ثم فُرِضَتْ على كل يوم خمسون صلاة » ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث[4] .

يعنى على النحو الذى ذكر فى رواية البخارى ، وقد تبيَّنتَ أيها القارىء إلى أى حد اتفق الرواة على الروايتين على طولها ، وأنه لم يحصل اختلاف إلا فى ألفاظ قليلة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على قوة ذاكرة الرواة المسلمين وحفظهم النادر وتدقيقهم البالغ وأمانتهم الفائقة .

رِوَاية أُخْــرى لِلإمَــام مُسْلِم

قال الإمام مسلم فى صحيحه :

حدثنا شيبان بن فروخ (قال) حدثنا حماد بن سلمة (قال) حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : **أُتِيتُ بالبراق وهو دَابَّةٌ أبيضُ طويلٌ فوق الحمار ، ودون البغل يضع حافِرَه عند منتهى طَرْفه ، قال : فَرَكِبتهُ حتى أتيت**

---

(١) الضمير يعود على سدرة المنتهى كما فى رواية البخارى السابقة ورواية مسلم هذه يغلب عليها الاقتصار والإيجاز لأنه ذكر رواية قبل هذه فى صحيحه عن أنس من طريق ثابت البنانى وهى أتم من هذه وأوفى وسأذكرها .

(٢) يعنى آخر ما عليهم من دخوله وهذا الوصف يدل على كثرة ملائكة الله الفائقة وأنه لا يعلم عدتهم إلا هو .

(٣) أصبت أى الفطرة أصاب الله . يعنى أراد بك الفطرة والخير والفضل وأمتك تبع لك على الفطرة .

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ .

بيت المقدس قال . فربطته بالحلقة التى يَرْبِطُ بها الأنبياء . ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناءٍ من خمر ، وإناءٍ من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترتَ الفطْرَة[1] .

ثم عُرِجَ بنا إلى السماء ... » الحديث بطوله[2] .

ثم ساق مسلم الحديث على نحو ما ذكره البخارى فى روايته التى ذكرناها أولاً وفى آخرها « فَلَمْ أَزَلْ أرجع بين ربّى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : « يامحمدُ إِنَّهن خمسُ صلوات كل يوم وليلةٍ لكل صلاة عَشْرٌ - يعنى حسنات - فذلك خمسون صلاة ، ومَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبَتْ له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هَمَّ بسيئة ولم يعمَلْها لم تُكْتَبْ شَيْئا ، فإن عملها كتبتْ سيئةً واحدةً .. » .

وقد تكفلت رواية مسلم هذه بذكر ما أوجز فى الرواية الأولى من إتيانه ﷺ بيت المقدس والصلاة فيه ركعتين وعرض جبريل على النبى ﷺ اللبن والخمر قبل العروج وهكذا نرى أن الروايات يكمل بعضها بعضا ، وما تركته إحداها ذكرته الأخرى ، وأننا نخرج من جملة الروايات فى هذا بالبناء الكامل لقصة الإسراء والمعراج وإليك هذه القصة .

قصة الإسراء والمعراج

وقد استقيتها من مجموع الروايات الصحيحة والحسنة المفرقة فى كتب الحديث والسير وقد أخذت على نفسى أن أعرض عن الموضوع والضعيف وهاهى خلاصة القصة :

بينما كان النبى محمد ﷺ بائتا ذات ليلة[3] غرَّاء مقمرة ببيت السيدة أم هانىء بنت

---

(١) فى هذا الحديث الذى رواه الإمام مسلم أن عرض اللبن والخمر كان فى الأرض قبل العروج وفى الحديث الذى اتفق عليه البخارى ومسلم وهو الذى ذكرناه آنفا أن ذلك كان بعد العروج ومجاوزة السماوات السبع وليس هذا باضطراب ولا تناقض وإنما هو محمول على تعدد العرض على النبى فمرة فى الأرض ومرة فى السماء وتكون كل من الروايتين قد ذكرت ما ترك فى الأخرى اقتصاراً من الراوى على البعض وترك البعض أو نسياناً ومهما يكن من شىء فلا يعتبر ذلك عند أهل الفن مطعنا فى الحديث .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٥ ط حجازى .

(٣) هذا على ما اخترته ورجحته من أن الإسراء والمعراج كانا فى ربيع الأول ليلة الثانى عشر أو السابع عشر منه .

عمه أبى طالب ، بين عمه حمزة المغوار ، وابن عمه جعفر الطيار ، إذ فُرِجَ سقفُ البيت وهو مضطجع بين النائم واليقظان ، ونزل عليه ثلاثة نفر من الملائكة الأطهار ، جبريل ومعه اثنان من الخيرة الأبرار ، فاحتملوه حتى أتوا به الحِجْرَ بالمسجد الحرام ، فَشَقَّ جبريلُ عليه السلام صدْرَه الشريف ، وأتى بِطَسْتٍ من ذهبٍ مملوء بماء زمزم الميمون المبارك ، فَغَسَل به قلبه الشريف ، ثم أَفْرَغَ فى قلبه ينابيع الإيمان والحكمة استعدادا لما يشاهده فى هذه الليلة المباركة من الآيات الكونية ، ولما سيلقى عليه من أنواع الفيوضات الإلهية .

ثم جيء له بالبراق ، وهو خلق من مخلوقات الله العجيبة ، على صورة الحيوان ، لكنه ذو سرعة فائقة ، وقدرة خارقة ، على قطع المسافات الشاسعة ، كالبرق بل هو أشد منه فى الإسراع ، حتى أنه ليضع قدمه عند منتهى الإبصار ، وأخلق بمثله أن يطوى الفيافى والقفار ، فى ساعة من ليل أو نهار .

فركبه رسول الله ﷺ ، فسار به وهو مزهو بهذا الشرف الرفيع ، وجبريل الأمين آخذ بالركاب الكريم ، وفى الطريق مر الأمين والأمين[1] بأرض ذات نخل وزروع ، فقال جبريل للنبى ، إنزل فصل ، فنزل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال . صليت بطيبة[2] ، وإليها المهاجرة ، ثم سارا ، فقال جبريل للنبى : انزل فصل ، فنزل فصلى ، فقال له جبريل أتدرى أين صليت ؟ قال الله أعلم ، قال لقد صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ، ثم سارا ، فقال جبريل للنبى : انزل فصل ، فنزل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال : لقد صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام[3] .

وما زال البراق يطوى الأرض طيا ، حتى آتى بيت المقدس فربطه رسول الله بالحلقة التى كان يربطه بها الأنبياء قبله ، ثم دخل المسجد الأقصى فوجد الأنبياء فى استقباله ،

---

(١) الأمين الأول هو نبينا محمد وقد عرف بذلك حتى قبل البعثة ، والأمين الثانى : هو جبريل لأنه أمين الوحى .
(٢) طيبة هى المدينة المنورة وإليها كانت هجرة النبى ﷺ .
(٣) ورد ذكر الصلاة فى هذه المواطن الثلاثة فى سنن الترمذى .

ترحيبا بالقادم الكريم ، ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا أيّهم يصلى إماما ، فأخذ جبريل بيد النبي ﷺ فقدمه إماماً ، فصلى بهم ركعتين[1] ، فلما قضيت الصلاة وقد بلغ العطش من النبي أشده ، جاءه جبريل بإناء من لبن ، وإناء من خمر ، فاختار اللبن ، فقال له جبريل اخترتَ الفطرة ولو اخترتَ الخمر لَغَوَتْ أُمَّتُكَ .

وإنه لتشريف وتكريم ، أن يحشد الله سبحانه أنبياءه ورسله ، للقاء خاتمهم وآخرهم ، فما عرفت الدنيا حفلا أكرم من هذا الحفل ، ولا قادما أشرف من هذا القادم ، وإنه لمقام يعجز عنه وصف الواصفين ، مهما أوتوا من بلاغة ولسان مبين .

ثناء الأنبياء على ربهم :

وفى هذا المقام المشهود ، واللقاء الموعود أثنى بعض الأنبياء على ربهم[2] بمحامد هو أحق بها وأهلها ، وآلاء تمتن عليهم وعلى أممهم بها .

ثناء الخليل :

فقال إبراهيم الخليل عليه السلام الحمد لله الذى اتخذنى خليلا ، وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمة قانتاً يؤتمُّ بى ، وأنقذنى من النار ، وجعلها عَلَىَّ بَرْداً وسلاما .

ثناء الكليم :

وأثنى موسى عليه السلام على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ، ونجاة بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق ، وبه يعدلون .

---

(١) فى صحيح مسلم : « وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفى . وإذا إبراهيم عليه السلام أشبه الناس به صاحبكم – يعنى نفسه – فحانت الصلاة فأممتهم » (مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٨) .

(٢) هذا الثناء ورد فى رواية أبى هريرة وهى التى رواها الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسيره .

ثناء داود :

وأثنى داود عليه السلام على ربِه فقال : الحمد لله الذى جعل لى مُلْكا عظيما ، وعلَّمنى الزَّبُورَ ، وألانَ لى الحديد ، وسخر لى الجبال يُسَبِّحنَ والطيرَ ، وأعطانى الحكمة وفَصْلَ الخطاب .

ثناء سليمان :

وأثنى سليمان عليه السلام على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محاريبَ وتماثيلَ ، وجِفَانٍ كالجَوَاب ، وقدور رَاسِيَاتٍ ، وعلَّمنى منطقَ الطير ، وآتانى من كل شيء فضلا ، وسخر لى جنودَ الشياطين ، والإنس والطير ، وفضَّلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى مُلْكا عظيما لاينبغى لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب .

ثناء عيسى :

وأثنى عيسى عليه السلام على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذى جعلنى كَلِمَتَهُ وجعل مَثَلِى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلَّمنى الكتابَ والحكمة والتوراةَ والإنجيلَ ، وجعلنى أخلُقُ من الطين كهيئة الطير فَأَنْفُخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وجعلنى أُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأبْرَصَ ، وأُحْيِى الموتى بإذن الله ، ورفعنى وطهَّرنى ، وأعاذَنِى وأمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عَلَيْنَا سَبِيلٌ .

ثناء محمد :

وأثنى محمد صلوات الله وسلامه عليه على ربه عز وجل فقال : كلكم أثنى على ربه ، وأنا مُثْنٍ عَلَى ربى : الحمد لله الذى أرسلنى رحمةً للعالمين ، كافَّةً للناسِ بشيراً ونذيراً ، وأنزل عَلَيَّ الفُرْقَانَ فيه بيانٌ لكل شيءٍ ، وجعل أُمَّتِى خيرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاس ، وجعل أمتى أمة وسَطًا وجعل أمتى هم الأَوَّلُون وهم الآخِرُون ، وشَرَحَ لى صدرى ، ووَضَع عنيِّ

وِزْرِى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما »[1]

فقال إبراهيم الخليل عليه السلام : بهذا فضلكم محمد عليه الصلاة والسلام

* * *

مَـا رَآه النَّبى فى مَسْـــرَاه

لقد كانت ليلة الإسراء والمعراج من الليالى الزهراء ، فقد شاهد النبى فيها سواء فى مسراه فى الأرض ، وعروجه إلى السماء ، ما شاء الله له أن يشاهد من الآيات والآلاء ، وتملت العينان مما رأى ، و﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ، ووعى القلب الكبير ما رأته العينان ، و﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ وامتلأ بجلال الله وعظمته ، ونوره وتجلياته .

وقد شاء الله أن تضرب الأمثال للنبى فى هذه الليلة الميمونة ذات البركات ، ووراء هذه الأمثال ما وراءها من العِبَر والعظات ، والإشارات والبشارات ، وللأمثال عند بنى الإنسان ــ ولا سيما العرب ــ شأن وأى شأن ، فهى تريك المعقول فى صورة المحسوس ، والغائب فى صورة المشاهد ، والمأمول المرتقب فى صورة الواقع المحقق ، وهى بما فيها من دقة التصوير ، وسمو التعبير عن الغرض المقصود ، تستولى على النفوس ، وتهز أوتار القلوب ، فلا عجب أن ضربت الأمثال للنبى فى مسراه ، وصورت تصويراً دقيقاً معبراً ، يرى المشهد العجيب ، فيستفسر عنه من جبريل ، فيجيب إجابة الحكيم ، المخبر عن رب العالمين ، ليكون من وراء ذلك العظة لقوم يعقلون .

وإليك بعض هذه المشاهد المؤثرة المعبرة :[2]

١ ــ فمن ذلك أنه رأى امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت : يا محمد انظرنى أسألك ، فلم يلتفت إليها فقال النبى ﷺ من هذه يا جبريل ؟ قال : تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة .

٢ ــ وأنه رأى قوما يزرعون ويحصدون كلما حصدوا عاد الزرع كما كان فقال : ما هذا

---

(١) يعنى خاتما للأنبياء ، وفاتحا للشفاعة يوم القيامة .

(٢) هذه المشاهد وردت فى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار (فتح البارى ج ٧ ص ١٥٨) .

يا جبريل ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ من شَىْءٍ فهو يخلفه وَهُو خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ .

٣ - وأنه ﷺ أتى على قوم تُرْضَخُ[١] رؤسهم بالحجارة كلما رُضِخَت عادت كما كانت ولا يُفتَّرُ[٢] عنهم من ذلك شىء فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة .

٤ - وأنه أتى على قوم على أَقْبَالِهِم[٣] رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزَّقُّوم ورضف[٤] جهنم فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يُؤَدُّون زكاة أموالهم المفروضة[٥] وما ظلمهم الله شيئا ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ .

٥ - وأتى على قوم بين أيديهم لحم طيب نضيج ، ولحم آخر نيىء[٦] قذر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النيىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا ، فتأتى رجلا خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح .

٦ - وأتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها فقال :

---

(١) تكسر وتهشم .

(٢) لا ينقطع عنهم هذا التعذيب .

(٣) جمع قبل العورة الأمامية .

(٤) الضريع شجر ذو شوك من أخبث الطعام وأضره والزقوم شجرة تنبت فى النار كريهة المنظر . مُرَّة الطعم وهى طعام أهل النار ، رضف جهنم : حجارتها المحماة جمع رضفة كتمر وتمرة .

(٥) وما أصدق التطابق بين المثل والممثل له فقد ظن مانعوا الزكاة وكانزوا الأموال أنها ستكون لهم سترا وجاها فإذا بها عرى وفضيحة ، وقصدوا أن يملأوا بها بطونهم وخزائنهم فإذا هى ضريع وزقوم وحميم يقطع أمعاءهم ويفسد عليهم طعامهم وشرابهم .

(٦) نيىء على وزن حمل ونى عامى .

ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها .

٧ ـ وأتى على خشبة منصوبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها[١] ثم تلا قول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوْعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عن سبيلِ ٱللهِ من آمنَ بِهِ وتَبْغُونَهَا عِوَجًا** ﴾[٢] .

٨ ـ وأتى على قوم تُقْرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة .

٩ ـ وأتى على منظر عجيب ، ثقب صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

١٠ ـ ومر على قوم بطونهم أمثال البيوت لضخامتها ، كلما نهض أحدهم خر ، فقال النبي ﷺ . من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هم آكلو الربا ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ ٱللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾[٣] .

١١ ـ ومر على قوم مشافرهم[٤] كالإبل يلتقمون حجراً فيخرج من أسافلهم فقال النبي ﷺ : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما ومصداق

---

(١) يعنى بإيذاء المارة بألسنتهم وجوارحهم وصدهم عن طرق الخير .

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(٤) شفاههم كمشافر الإبل أى شفاهها فى الغلظ والتقرح .

ذلك من كتاب الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[1] .

ألا ما أروع المشهد ، وما أدق التصوير ، وما أنبل الغرض ، وما أوفى العبرة ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

* * *

المِعْــــراجُ

وقفت بك ـ أيها القارىء الكريم ـ عند انتهاء النبى ﷺ من الصلاة بالأنبياء فى المسجد الأقصى وبذلك تم الإسراء وبدأ المعراج .

وهنالك فى هذه البقعة المباركة التى هى مثابة الأنبياء ومهاجرهم ، وأولى القبلتين ، وثانى المسجدين عرج بالنبى ﷺ ومعه صاحبه جبريل حتى وصلا إلى أول سماء فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل قيل : وهو معك ؟ قال : محمد . قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم قال : مرحباً به فنعم المجىء جاء ثم فتح لهما فإذا آدم عليه السلام فقال جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالنبى الصالح ، والإبن الصالح وهكذا كلما وصلا إلى سماء أخرى ، استفتح جبريل ، وحصل السؤال بمثل ما حدث فى السماء الأولى ، فيؤذن لهما بالدخول والصعود .

فوجدا فى السماء الثانية السيد الحصور يحيى بن زكريا ، وكلمة الله عيسى ابن مريم عليهما السلام .

وفى السماء الثالثة من أعطى شطر الحسن يوسف عليه السلام .

وفى السماء الرابعة من كان صديقا نبيا ورفعه الله مكانا عليا إدريس عليه السلام .

وفى السماء الخامسة من جعله الله وزير صدق لأخيه : هرون عليه السلام .

وفى السماء السادسة كليم الله موسى عليه السلام .

---

(١) سورة النساء الآية ١٠

وفى السماء السابعة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

وهنالك رُفع للنبي البيت المعمور وهو بيت فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً .

ثم عرج النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى ، وقد غشيها من جلال الله ، وعجيب خلقه ما غشيها ، فما يستطيع أحد من خلق الله ، مهما أوتى من بيان أن ينعتها من حسنها وبديع صنعها .

وهنالك عند سدرة المنتهى انتهى جبريل إلى مقامه المعلوم ، ثم عرج بالنبي صاحب المقام المحمود ، فى أجواء من الأنوار ، وسبحات من الجلال والجمال والكمال ، وفضاء لا يعلم مداه إلا علام الغيوب ، حتى ارتقى إلى مستوى سمع فيه صريف[1] أقلام الملائكة الكرام وهنالك أراه ما أراه من آياته الكبرى ، وأوحى إلى عبده ونجيه محمد ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة ، فرجع الحبيب ومر على موسى الكليم ، فقال له : يا محمد بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع ذلك ، وإنى قد بلوت بنى إسرائيل قبلك ، وعالجتهم على ما دون ذلك فما استطاعوا فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجع سيدنا محمد إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه بعضها ، ثم عاد النبي ومر على موسى ، فقال له مثل مقالته الأولى ، ولم يزل النبي يرجع بين موسى وبين ربه سائلاً التخفيف ، حتى قال الحق تبارك وتعالى ﴿ **يا محمد إنهن خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وهن خمسون فى الثواب** ﴾ ، فنزل النبي ﷺ وسلم حتى انتهى إلى موسى عليه السلام ، فأخبره بمقالة الرب جل وعلا ، فقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال له السيد الحيي الرضى : سألت ربى حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم ، فلما جاوز ناداه الرب جل وعلا ﴿ **أمضيتُ فريضتى وخففتُ عن عبادى** ﴾ .

ثم عاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه محفوفا بالإكرام والعناية الربانية ، وعليه

---

(١) الصريف : صوت القلم والمراد الأقلام التى تكتب بها الملائكة ما يشاء الله من تدبيره فى الأكوان .

هالات من الجلال والتجليات الإلهية ، حتى وصل إلى بيت المقدس ، وعاد إلى البلد الحرام ، وهو فى غاية من السكينة والوقار .

وبذلك تمت فصول قصة الإسراء والمعراج .

* * *

فى صبيحة ليلة الإسراء والمعراج

وفى صبيحة الليلة المشهورة الغراء أخبر رسول الله ﷺ أم هانىء بما جرى ، فقالت : يا رسول الله : لا تحدثْ قومَك بهذا فيُكَذِّبُوكَ وَيُؤْذُوك . فقال وَٱللهِ لَأُحَدِّثَنَّهُمْ بِهِ ، فغدا إِلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ ، وَهُوَ جَالِسٌ يُفَكِّرُ ، فقال للنَّبِىِّ هَلْ مِنْ خَبَرٍ ؟ قال نعمْ قال : وما هو ؟ قال أُسْرِىَ بِى اللَّيْلَة قال : إلى أينَ ؟ قال : إلى بيتِ المَقْدِسِ قال : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرانَيْنَا ؟ ! !

قال : نعم قال : أرأيْتَ إن دَعَوتُ قومَك أتحدِّثُهم بما حَدَّثْتَنِى بِهِ ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فصارَ أبو جهل ينادى بُطُونَ قريش ، فأقْبَلوا فَقَصَّ عليهم رسولُ الله القِصَّةَ ، فصاروا ما بين مُصَفِّقٍ وَوَاضِعٍ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَعَجُّبًا ، وأرتد جماعة من ضعفاء الإيمان ، وصار حديث الإسراء مَشْغَلَةَ المجتمع القرشى فى كل مجلس ونادٍ .

وسعى رجال إلى سيدنا أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ يخبرونه فقال كلمة الإيمان : لئن كان قد قال ذلك لقد صدق فقالوا له : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إِنِّى لَأُصَدِّقُهُ عَلَى أَبْعَدِ مِنْ هَـٰذَا ، أُصَدِّقُهُ عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ[1] .

فسمى أبوبكر رضى الله عنه وأرضاه من ذلك اليوم صديقاً .

الاخْتِبَـــارُ

وجاء دور الاختبار ، وكان الكثيرون من المشركين يعرفون بيت المقدس وأوصافه لكثرة ترددهم عليه فى تجاراتهم وأسفارهم فسألوا النبى ﷺ عن أوصاف المسجد الأقصى ، ولم يكن النبى رآه إلا فى هـذه الليلة ، وقد كان فى شغل شاغل عن الإحاطة بالوصف ،

(١) يريد ـ رضى الله عنه ـ مجىء جبريل عليه السلام بالوحى من السماء فى زمن وجيز من ليل أو نهار .

والواحد منا قديغشى مسجد الحى طيلة عمره ، ومع هذا تسأله عن عدد أساطينه أو شبابيكه فلا يدرى ، فلا عجب إذا كان النبى ﷺ قد كرب كربا شديداً لم يكرب مثله قط ولكن الله الذى أسرى به ، ورفعه فوق السبع الطباق ، وأيده بروح منه أزال الحجب والموانع ، وجلاه له حتى صار مرئياً له فجعل ينظر إليه ويصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فَبُهِتُوا وقالوا : أما الوصف فقد أصاب .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما[1] أن رسول الله ﷺ قال ـ وهذا لفظ البخارى :

« لَمَّا كَذَّبَتْنِى قُرَيشٌ قُمْتُ فِى الحِجْرِ ـ فَجَلَّى اللهُ لِى بَيْتَ المَقْدِسِ[2] فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » .

وأخبرهم أيضاً بأمارات فى الطريق تشهد بصدقه : أخبرهم أنه مرَّ بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفرها حس الدابة[3] ، فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ثم رجعت حتى إذا كنت بصحنان[4] مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان

---

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) الظاهر أنه جلاه له من غير انتقال ، وأنه أزال له الحجب والموانع حتى كأنه ماثل أمامه ، ولا أدرى كيف يستبعد البعض مثل هذه المعجزة وقد توصل العقل البشرى فى عصرنا إلى اختراع « التليفزيون » فيرى الرائى فيه صورة أى شىء حتى ولو كان بينهما آلاف الأميال فإذا توصل الإنسان على قصوره إلى هذا ، أفنستبعد هذه المعجزة على قدرة صانع البشر وخالق القوى والقدر ، والعليم بما كان وما يكون ؟ !

ويشهد لذلك التوجيه ما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة قال : « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها : فكربت كربة ما كربت مثله قط قال : فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به » مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٨ .

وقيل إن الله أحضر له بيت المقدس حتى صار على مقربة منه وليس ذلك بعزيز على الله فقد أحضر الذى عنده علم من الكتاب عرش بلقيس أمام سليمان فى أسرع من لمح العين كما حكى ذلك القرآن الذى لا يتطرق إليه شك أو ارتياب .

(٣) هو صوت سرعة سيرها .

(٤) موضع .

وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق[1] فما وافى اليوم حتى خرجوا يشتدون نحو مدخل مكة .

فقال قائل : هذه ـ والله ـ الشمس قد أشرقت ، فقال الآخر : وهذه ـ والله العير قد أقبلت ، وقد استفسروا من أصحاب العير عن الإناء فصدقوا ما قاله النبى .

وبعد كل هذه الآيات البينات ، والشواهد المحسوسات ، لم يزدد القوم إلا كفراً وعناداً وصدق الله ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ** ﴾ ﴿ **وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ .

* * *

صَلاةُ جِبْرِيل بالنَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

وفى غداة اليوم التالى لليلة الإسراء والمعراج جاء جبريل إلى النبى ﷺ يعلمه كيفية الصلاة ، ويبين له أوقاتها فما إن زالت الشمس حتى أمر رسول الله ﷺ فنودى بأصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت : النبى يقتدى بجبريل ، والمسلمون يقتدون بالنبى من ظهر هذا اليوم إلى فجر اليوم التالى .

وفى صحيح مسلم عن أبى مسعود البدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **نَزَلَ جبريلُ فَأَمَّنى فصلَّيْتُ معه ، ثم صَلَّيتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليت معه ، يَحْسِبُ بأصابعِه خَمْسَ صَلَوَاتٍ** » .

وقيل إن جبريل عليه السلام صلى بالنبى يومين متتاليين ليبين له الوقتين الأول والآخر لكل صلاة . روى عن ابن عباس وجابر أن النبى ﷺ قال : « **أَمَّنى جِبْرِيلُ عندَ البيتِ مَرَّتَيْنِ** » .

ومن هذه الليلة صارت الصلاة فرضاً موقوتاً على كل مسلم ومسلمة ، وركنا من أركان الإسلام تشهد لمؤديها بالإخلاص والمواظب عليها فى أوقاتها بطهارة القلب ، واستقامة السلوك ، وصلاح الأحوال .

---

(١) لونه رمادى .

فلله أنت يا ليلة الإسراء والمعراج فلو لم يكن لك من الفضل والمنزلة إلا فرض الصلوات الخمس لكفى .

* * *

تَوْضِيحَـــات وَتَعْلِيقَـــات

فى بعض ما ذكرته من روايات ، وما سردته من قصة الإسراء والمعراج ما يحتاج إلى شيء من التوضيح ، وإزالة الإبهام ، ورفع الإشكال وما هو فى حاجة إلى تبيان الحكمة ، وكشف اللثام عن الأسرار وفى الحق أن الكثير مما عرضت له ، قد سئلت عنه من كثير من الناس ، بل أذكر أنى كنت أحاضر فى الإسراء والمعراج فى بلدتنا « منية جناح »[1] من قرابة عشرين عاما . فسئلت عن بعضها لا من المثقفين فحسب . بل ومن عوام الناس .

وقد سرنى أن بعض إخواننا الفلاحين كانت تصدر منهم هذه الأسئلة التى تنم عن ذكاء فطرى ، وصفاء نفسى ، وتدين أصيل فى هذا الشعب الكريم :

- ١ -

قد يستشكل بعض الناس وجود الأنبياء الذين لقيهم النبى ﷺ فى السماوات مع أن أجسادهم غير عيسى عليه السلام فى الأرض .

وللجواب عن هذا نقول إن أرواح الأنبياء فى أعلى عِلِّيِّين فيجوز أن تكون أرواحهم تشكلت بصورة أجسادهم تشريفاً وتكريماً للقاء القادم الكريم ، ويجوز أن يكونوا بعثوا من قبورهم وحلت أرواحهم فى أجسامهم استعداداً للقاء النبى ثم عادت أجسامهم إلى قبورهم ، وبقيت أرواحهم فى مستقرها من السماء ، ولا تستكثر شيئاً على قدرة الله سبحانه ، وليكن فى عقلك فسحة لهذا وأمثاله .

ومثل هذا يقال أيضاً فى اجتماعهم بالنبى ببيت المقدس وصلاته بهم وثنائهم على ربهم ، والذى أميل إليه هو التوجيه الأول ، وتشكل الأرواح بصورة الأجساد أمر غير مستغرب ولعلك على ذُكر مما ذكرناه لك سابقا عن الإمام ابن القيم من وجود الارتباط

---

(١) هى قرية على سيف نهر النيل فرع رشيد كانت تتبع قديما مديرية الغربية والآن تتبع محافظة « كفرالشيخ » .

القوى بين أرواح النَّبِيِّينَ وأجسادهم وأنهم بهذا الارتباط يكون منهم بعض التصرفات التى لا تكون إلا من الأحياء ، ولله فى ملكوته الذى لا يحيط به إلا هو آيات وعجائب ، وما خفى علينا أكثر مما علمنا ، والليلة كانت مليئة بالعجائب وخوارق العادات ، وكل ما حدث به النبى ﷺ وصح ثبوته عنه فهو حق لا شك فيه وصدق الله ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ** ﴾ ، ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ** ﴾ .

- ٢ -

قد يقول قائل : لم أُسْرِى بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس ثم عُرِجَ به من هناك ؟ وَلِمَ لم يعرج به من مكة أشرف البقاع وأحبها إلى الله ؟

وقد أبان السر فى هذا الشيخ الإمام أبومحمد بن أبى جمرة فى كتابه « بهجة النفوس » فقال ما خلاصته مع التوضيح : إن الحكمة فى الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل العروج به إلى السماء إقامة الحجة على المشركين والمتشككين ، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمراغمة الكفار والضعفاء سبيلا إلى إلزامهم بالحجة إذ لا علم لهم بالعالم العلوى حتى يسألوا عنه فيجيبهم بما يقيم عليهم الحجة ، بخلاف ما وقع بالفعل فإنه لما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه أن يصف لهم بيت المقدس ، وكانوا يعرفونه فى تجاراتهم وأسفارهم . ويعلمون أيضاً أن النبى لم يكن رآه من قبل فلما أخبرهم بأوصافه كان ذلك أكبر آية على صدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ورجوعه منه ، وإذا تحققوا صدقه فى الإسراء لزمهم تصديقه فى بقية ما ذكره من المعراج ليؤمن من آمن عن بينة ، ويكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

وأيضاً فإن بيت المقدس مهاجر الأنبياء وأول القبلتين ، وثانى المسجدين المشرفين فأراد الله أن يشرف نبيه بالصلاة فى البقعتين المباركتين ، وأن يحوز الفضيلتين .

ومن هذا البيان والإفصاح عن السر يتبين لنا الحكمة فى اقتصاره ﷺ صبيحة ليلة

الإسراء والمعراج على الإخبار بالإسراء دون المعراج هذا إلى ما فيه من الرفق بالسامعين ، والتلطف بهم فى قبول الغرائب والخوارق وذلك بالتدرج فى الإعلام بذكر الغريب ثم الأغرب .

ولعل هذا هو السر أيضاً فى اقتصار الكتاب الكريم على ذكر الإسراء تصريحاً ففيه رفق بالعباد ورحمة بهم أن لا يخبرهم بالخوارق دفعة واحدة .

- ٣ -

استشكل بعض الناس قول النبى ﷺ فى حديث المعراج الذى سقناه لك فيما سبق : « **ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا فِى أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ : نهرانِ باطِنَانِ ، ونهرانِ ظَاهِرَانِ ، أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيلُ والفراتُ** » .

ووجه الاستشكال أن مما لاشك فيه ولا ينبغى أن يمارى فيه إنسان عاقل أن النيل والفرات ينبعان من الأرض لا من سدرة المنتهى وهذا أمر بدهى .

وسأجيب عن ذلك بما يقنع العقل ، ويطمئن القلب ، ويبين أن الحديث الشريف والعلم متوافقان وأن الاستشكال إنما جاء من فهم الحديث فهماً ظاهرياً سطحياً ، وإليك الجواب :

إن هذه الليلة المباركة كانت حافلة بضرب الأمثال ، وقد أرى الله فيها نبيه من الآيات والعبر ما أراه لحكم وأسرار ، وإشارات وتلويحات ، فما ذكر فى الحديث الشريف عن النيل والفرات وارد على سبيل التمثيل والتصوير ، وأن ما رآه النبى ﷺ هو مثال لهما وذلك كما مثلت له ﷺ الجنة فى عرض الحائط فى غير هذا الحديث ، وكما مثل له أرواح الأنبياء وتشكلت بشكل أجسامهم فى هذه القصة ، وكما مثل له أرواح نسم المؤمنين وأرواح نسم الكفار عن يمين آدم وعن يساره فى هذه القصة أيضاً .

كذلك مثل له النيل والفرات قرب سدرة المنتهى فالذى رآه النبى عند السدرة هو صورتهما ومثالهما لا عينهما وحقيقتهما ، وهذا الرأى قد أومأ إليه بعض العلماء القدامى

الأجلاء وهو ما أميل إليه وأرجحه وأرى أن الحديث لاينبغى أن يفسر إلا به فإن الله سبحانه قد أكثر لنبيه فى هذه الليلة من ضرب الأمثال ، وإراءته الآيات .

وقد يقول لى قائل سلمنا لك ما تقول ولكن ما السر فى تمثيل هذين النهرين للنبى ﷺ فى هذه الليلة بالذات ، وفى هذا المكان المبارك ؟ وإليك الجواب :

إن فى تمثيل هذين النهرين فى هذه الليلة سراً وأى سر وهو ما فيه من رمز وإشارة إلى أن الله سبحانه سينجز لنبيه وعده ، ويفى له بنصره ، ويتم عليه نعمته بأن يظهر دينه على الأديان كلها وسيفتح على أمته الأرض حتى تمتد رقعة الإسلام من النيل إلى الفرات ، وهذا ما قد كان إذ لم يمض ربع قرن بعد هذا حتى دخل فى الإسلام الأقطار من النيل إلى الفرات .

وليس من شك فى أن القلب الكبير وعى كل هذا وأكثر منه . وأنه علم ما فيه من البشرى له ، والإيذان بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ .

ولعلك على ذُكر مما صورناه لك من الظروف والملابسات ، والحالة النفسية المؤلمة التى كان يعانيها النبى ﷺ قبيل الإسراء والمعراج بسبب وقوف القوم فى وجه الدعوة الإسلامية ، وصدهم الناسَ عنها ، وإيغالهم فى إيذاء الرسول والصحابة .

استطراد لازم :

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فمن هذا القبيل الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **أَرْبَعَةُ أنهارٍ منَ الجنةِ : النيلُ والفراتُ وسَيْحَانُ وجَيْحَانُ** » فهو مصروف عن ظاهره قطعاً بقرينة الحس والمشاهدة .

والحديث خرج مخرج التشبيه والتمثيل وأن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة فى عذوبتها وكثرة خيراتها ، ونفعها للناس وهو تأويل مقبول ومستساغ لغة وشرعاً .

ومن تتبع كلام العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام يجد من أمثال ذلك الشىء الكثير

وليس من البحث العلمى ولا من الإنصاف فى شىء إنكار مثل هذين الحديثين بادى الرأى بحجة المخالفة للحس والمشاهدة بعد ما تبين من إمكان تفسيرها تفسيراً مستساغاً مقبولاً فإنهما مرويان فى أصح الكتب الحديثية ، ونحن لا ندعى العصمة للبخارى ولا لمسلم ـ رحمهما الله ـ ولكنا نقول : إن من اطلع على شرط هذين الإمامين فى الرواية من اشتراط العدالة والضبط واتصال السند ، ومعرفتهما أحوال رواة الحديث ظاهراً وباطناً وتحريهما فى ذلك غاية التحرى مع شفوف النظر ، وسعة العلم ، ودقة النقد ـ يكاد يجزم بصحة ما روياه ، وهذا أمر يؤمن به من زاول كتب هؤلاء العلماء ، وعاش معهم ، وأطال صحبتهم ، وأخذ نفسه بما أخذوا به أنفسهم .

ـ ٤ ـ

قد يقول قائل : ما السر فى وجود الأنبياء الذين ذكرتهم الروايات فى السماوات على هذا الترتيب ؟ ولِمَ أقتصر على هؤلاء دون غيرهم ؟

وقد كفانا الجواب عن هذا الإمام السهيلى فقال ما ملخصه ـ مع التوضيح ـ :

الحكمة فى الاقتصار على هؤلاء المذكورين من الأنبياء فى الحديث الإشارة إلى ما سيقع له ـ ﷺ ـ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم .

فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبى ﷺ من الهجرة إلى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهية فراق ما ألفه من الوطن ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى وطنه الذى أخرج منه مكرماً معززاً .

وأما عيسى ويحيى عليهما السلام فالتنبيه على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغى عليه وإرادتهم وصول السوء إليه بل وهمهم بقتله فكانت النتيجة أن أنجاه الله من مكرهم ، ونصره عليهم ورد كيدهم فى نحورهم ، كما أنجى عيسى عليه السلام من قبل منهم حينما عزموا على قتله فرفعه إليه وطهره من رجسهم .

وأما يوسف عليه السلام فقد نبه بما وقع له من إخوته وكيدهم له على ما وقع للنبى من

قريش فى عداوتهم له ، وإرادتهم هلاكه ، وتفننهم فى الكيد له ، من غير أن يكون لذلك داع إلا أن الله عصمه بفضل منه ورحمة وكانت العاقبة لنبينا كما كانت ليوسف عليهما الصلاة والسلام .

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك يوم فتح مكة ، وضربه مثلاً عالياً فى العفو حيث قال : « **أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾**[1] .

وأما إدريس عليه السلام فقد نبه بوجوده فى سمائه على رفيع منزلة النبي ﷺ عند ربه ، وعلو شأنه ، وأن دينه سيعلو ثم يعلو حتى يظهر على الأديان كلها ، كما رفع الله نبيه إدريس من قبل مكانا عليا قال سبحانه : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾[2] .

وأما هرون عليه السلام فقد نبه بوجوده فى سمائه على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه ، ونالوا منه ، وأصبح أثيراً عند بنى إسرائيل وكذلك أنت يا محمد سيحبك قومك بعد أن قلوك ، ويؤيدونك بعد أن عادوك .

وأما موسى عليه السلام فقد نبه به على ما وقع له من معالجة قومه أشد المعالجة كى يهتدوا ، وإيذائهم له ، وصبره على ذلك أعظم الصبر .

وكذلك أنت يا محمد ستجد فى سبيل هداية قومك عنتا ومشقة ، وسيذيقونك من صنوف البلاء ألواناً ، وسيلحقون بك من المثالب والمعايب ما أنت برىء منه وفى قوله ﷺ « **رَحِمَ اللهُ أَخِي مُوسَىٰ ، لَقَدْ أُوذِي بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ** » ما يشير إلى هذا المعنى . وفى الكتاب الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا** ﴾ .

---

(١) سورة يوسف ٩٣ .
(٢) سورة مريم ٥٦ – ٥٧ .

وأما إبراهيم عليه السلام فقد نبه بوجوده فى آخر السماوات ، واستناده إلى البيت المعمور ، بما ختم له فى آخر عمره من النصر ودخول مكة فاتحاً منتصراً مع المبالغة فى تعظيم البيت ، ورعاية حرمته وما أتم الله به عليه نعمته من إكمال الدين ، وإقامة مناسك الحج ، وحجهم البيت الحرام لا يشاركهم فيه أحد من المشركين وصدق الله حيث يقول مخاطباً المسلمين فى حجة الوداع : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾[1] .

ومن المناسبات اللطيفة أن يكون آدم أبو البشر فى السماء الأولى وإبراهيم أبو العرب وجد النبي الأعلى فى السماء السابعة فبدئت السماوات بأبى البشر ، وختمت بأبى العرب .

وأيضاً فلعل فى وجود الخليل عليه السلام فى السماء السابعة إيناساً للنبى ﷺ فى هذا الموقف الذى زج به فيه فريداً وحيداً فكان على مقربة منه جده إبراهيم وذلك على ما هو المعهود عند البشر من الأنس بالقريب الحبيب[2] .

- ٥ -

قيل : إن الحكمة فى فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج أن النبى ﷺ لما عرج به إلى السماوات رآها تموج بأصناف الملائكة الكرام الذين لا يحصيهم إلا الله سبحانه : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ ورأى من عبادتهم أمراً عجباً ، فمنهم القائم فلا يقعد ، والراكع فلا يسجد ، والساجد فلا يرفع رأسه ، فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها فى كل ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص ، والخشوع . وهذا شىء وإن كان سبق به القضاء الأزلى إلا أن الله سبحانه أظهره بعد وجود ما يقتضيه ، وفى اختصاص فرض الصلاة بهذه الليلة وكونها من غير وساطة بل بكلام الله من وراء حجاب تشريف لها وبيان لعظم مكانتها فى الإسلام .

---

(١) سورة المائدة ٣ .
(٢) فتح البارى ج ٧ ص ١٦٦ ، ١٦٧ ط البهية .

هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج ؟

هذا البحث من المباحث التى اختلفت فيها أنظار العلماء قديماً وحديثاً ، فمن مثبت للرؤية ، ومن ناف لها ، والبعض توقف فى المسألة ولم يدل برأى فيها وذلك لتعارض الأدلة ، واختلاف الروايات فى ذلك .

وها أنذا أحاول تجلية هذا الموضوع وبيان الحق فيه معتمداً على ما ثبت من الروايات ، ومُوَفِّقا بين ما ظاهره التعارض منها كى أصل إلى رأى راجح تدعمه الأدلة .

وهذا الخلاف تمتد جذوره إلى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فمنهم من أثبت الرؤية ومنهم من نفاها .

النافون للرؤية :

فذهبت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وابن مسعود إلى إنكار الرؤية فى هذه الليلة ، قال القاضى عياض : وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين .

وكانت عائشة تنكر على من يقول بالرؤية وتشتد فى الإنكار ، روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن مسروق قال : كُنْتُ عِنْدَ عائِشَةَ فقالت : يا أبَا عائِشَةَ(١) ثلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بواحدةٍ مِنْهَا فقد أعظمَ على الله الفِرْيَةَ قلتُ : ما هى ؟ قالتْ : مَنْ زَعَم أنَّ محمداً رأى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الفِرْيَةَ قال : وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فقلت : يا أُمَّ المؤمِنِينَ أَنْظِرِينى ولا تُعْجِلِينى ، ألم يَقُل اللهُ عز وجلَّ : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ** ﴾(٢)* ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾(٣) . فقالت : أنا أوّلُ هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « **إِنَّمَا هو جبريلُ لم أَرَهُ على صورته الَّتى خُلِقَ عليها غيرَ هاتَيْنِ المرَّتَيْنِ** » رآه مُنْهَبِطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض فقالت : أو لم تسمع الله

---

(١) كنية مسروق .
(٢) سورة التكوير ٢٣ .
(٣) سورة النجم ١٣ .

يقول : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وهو اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** ﴾[1] ، وأن الله يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾[2]

قالت : ومَن زعم أن رسول الله ﷺ كَتَمَ شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفِرْيَةَ واللهُ يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن ربك ، وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[3] .

قالت : ومَن زعم أنه يُخبرُ بما يكونُ فى غدٍ ، فقد أعظمَ على الله الفِرْيةَ ، والله يقول : ﴿ **قُلْ : لا يَعْلَمُ مَن فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللهُ** ﴾[4] .

فالسيدة عائشة اعتدمت فى إنكارها على أن آية التكوير وآية النجم المراد بهما أن المرئى جبريل لا الله سبحانه اعتماداً على إخبار رسول الله ﷺ لها بذلك وكذلك كان ابن مسعود يرى أن المرئى هو جبريل عليه السلام .

واعتمدت أيضاً على فهمها واجتهادها فى الآيتين الأخريين .

أما ما ذهبت إليه من أن آية التكوير والنجم فى رؤية النبى لجبريل فهذا ما لا ننازعها فيه لأن عائشة اعتمدت فى ذلك على ما سمعته من رسول الله ﷺ ومادامت الرواية صحت عن المعصوم ﷺ فلا كلام لأحد مع كلامه .

وليس الأمر كما زعم بعض العلماء من أن عائشة اعتمدت على فهمها واجتهادها فى الآيتين لأن رواية مسروق التى سقناها صريحة كل الصراحة فى سماعها ذلك من رسول الله .

وأما استدلالها بآية الأنعام : ﴿ **لا تدركه الأبصار ..** ﴾ وآية الشورى : ﴿ **وما كان لبشر ..** ﴾ السابقتين فالظاهر أن هذا باجتهاد منها على حسب ما فهمته .

---

(١) سورة الأنعام ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى ٥١ .

(٣) سورة المائدة ٦٧ .

(٤) سورة النمل ٦٥ .

وفى الحق أن الآيتين لا تدلان على نفى الرؤية ، وإليك البيان :

أما الآية الأولى فلأن الإدراك معناه الإحاطة كما تدل عليه اللغة وفى الكتاب الكريم : ﴿ **قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ ونفى الإحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بدون إحاطة فظهر أن الآية لا تصلح دليلاً لمن ينفى الرؤية .

وكان ابن عباس يؤول هذه الآية على نحو ما ذكرناه أخرج الترمذى من طريق الحكم بن إبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأى محمد ربه » قلت : أليس الله يقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ الآية قال : « **ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى** ربه مرتين » .

وأما الآية الثانية : ﴿ **وما كان لبشر** ﴾ فلا تدل على نفى الرؤية أيضاً لأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام مقارناً لها فيجوز وجود الرؤية من غير كلام والآية حصرت التكليم فى هذه الثلاثة : إما الوحى وهو الإلهام أو المنام ، وإما من وراء حجاب أى بدون وساطة ، وإما بإرسال رسول وهو جبريل والرؤية بدون كلام وراء هذه الثلاثة وبذلك ظهر أن الآية لا تنفى حصول الرؤية . هذا إلى أن رؤية الله فى الدنيا جائزة وسؤال موسى عليه السلام ربه إياها دليل على الجواز ، إذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع على الله سبحانه ، وهى مع كونها جائزة فلم تقع لأحد فى الدنيا إلا لنبينا صلوات الله وسلامه عليه .

القائلون بالرؤية :

وذهب جماعة من السلف إلى إثبات رؤية النبى ﷺ لربه ليلة المعراج منهم ابن عباس ، وسائر أصحابه ، ومنهم عروة ابن الزبير وكان يشتد ويغضب إذا ذكر له إنكار السيدة عائشة رضى الله عنها .

وحكى عبدالرزاق عن معمر عن الحسن البصرى « أن محمداً رأى ربه » . وبه جزم الزهرى وهو قول الإمام الأشعرى والإمام أحمد .

أما الروايات عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقد جاء بعضها مطلقاً وبعضها مقيداً

برؤية القلب والفؤاد فينبغى حمل الروايات المطلقة على المقيدة[1] .

الروايات المطلقة :

فى ذلك ما أخرجه النسائى بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : « أَتَعْجَبُونَ أن تكون الخُلَّةُ لإبراهيمَ ، والكلامُ لموسى ، والرؤيةُ لمحمد » عليهم الصلاة والسلام وأخرجه ابن خزيمة بلفظ : ﴿ **إِنَّ الله اصْطَفَى إبراهيمَ بالخُلَّةِ ، وموسى بالكلامِ ، ومحمداً بالرؤيةِ** ﴾ .

الروايات المقيدة :

ومن الروايات المقيدة ما أخرجه مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴾ . ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ قال : رآه بفؤاده مرتين أى أن المراد بالرؤية فى هاتين الآيتين رؤية النبي ربه عز وجل مرتين : ومعنى قوله ﴿ **نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ على رأى ابن عباس أنه كان للنبى ﷺ عرجات فى تلك الليلة لأجل التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه فى بعضها[2] .

وأصْرَحُ من ذلك ما رواه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « لَمْ يَرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بِعَيْنِهِ إِنَّمَا رَآهُ بِقَلْبِهِ » .

وعلى ذلك فيكون التحقيق الذى لا محيص منه أن رأى ابن عباس فى الرؤية إنما هى بالقلب لا بالبصر ، وأما كونها بالبصر فلم يثبت عنه ذلك ولا عن غيره من الصحابة قال العلامة ابن كثير فى تفسيره جـ ٨ ص ١٠١ بعد ما ساق رواية مسلم عن ابن عباس « وفى رواية عنه أنه أطلق الرؤية ، وهى محمولة على المقيدة بالفؤاد ، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح فى ذلك شىء عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وقول البغوى فى تفسيره : وذهبت جماعة إلى أنه رآه بعينه ـ وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم .

---

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٤٦٩ .

(٢) وأما على رأى السيدة عائشة فمعنى نزلة أخرى « مرة أخرى وذلك لأن النبى رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : مرة وهو نازل من غار حراء ، ومرة بالسماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى .

وقد نفى العلامة ابن قيم الجوزية عن الإمام أحمد أنه قال : « رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ » وقال إن من حكى ذلك عنه فقد غلط قال ابن القيم نقلاً عن شيخه ابن تيمية « ولكن لم يقل أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ أنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وَهِمَ ، ولكن قال مرة : رآه ومرة قال : رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك »[1] .

ومما يؤيد أن الرؤية البصرية لم تقع ما رواه مسلم بسنده عن أبي ذر قال : سَأَلْتُ رسولَ الله ﷺ : هل رأيتَ رَّبكَ ؟ قال : « **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ** » أى حال بيني وبين رؤيته النور الذى هو حجابه فكيف أراه وفى رواية أخرى « **رَأَيْتُ نُوراً** » .

وأَصرح من ذلك فى الدلالة على أن الرؤية هى القلبية ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن محمد بن كعب قال : قالوا : يا رسولَ ٱللهِ رأيتَ ربَّكَ ؟ قال : « **رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِى مَرَّتَيْنِ** » ثم قرأ ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** ﴾ .

وروى ابن جرير بسنده عن محصن بن كعب عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال : قلنا : يا رسولَ ٱللهِ هلْ رأيتَ ربَّكَ ؟ قال : لَمْ أَرهُ بِعَيْنِى وَرَأَيْتُهُ بِفُؤَادِى مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ تلا ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ** ﴾ وهاتان الروايتان إن صحتا تكونان من أقوى الأدلة لابن عباس فيما ذهب إليه فى تفسيره لآيتى النجم .

* * *

التَّوْفِيــق بَيْن المثْبِتِيــن والنَّافِيــن

وإذا قد انتهينا من استعراض الروايات وتحقيقها إلى أن الثابت عن الصحابة وعلى رأسهم ابن عباس إنما هى الرؤية القلبية ، فيمكننا التوفيق بين النافين والمثبتين ، بأن من نفاها أراد الرؤية البصرية ، ومن أثبت يكون مراده القلبية ، وتكون الرؤية القلبية ليست محل خلاف .

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ج ٢ ص ٤٨ .

مَعْنَى الرُّؤْيَةِ القَلْبِيَّة

معنى الرؤية القلبية أن يحصل لقلب النبي ﷺ حالة بها يرى الله عز وجل هذه الحالة مثل قوة الإبصار المودعة فى العين التى بها تدرك المبصرات وهذه الحالة القلبية فوق العلم والمعرفة .

قال الحافظ ابن حجر فى « الفتح » بعد ما بين أن ما روى عن ابن عباس محمول على رؤية القلب ما نصه :

« وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفى عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب ، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره ، والرؤية لا يشترط لها شىء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها فى العين » .

* * *

رَأْى ثَالِث

وقد ذهب بعض العلماء إلى التوقف فى المسألة ورجحه القرطبى فى « المفهم » شرح صحيح مسلم وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى .

وبعد فهذه خلاصة البحث فى الرؤية ، ولعلى أكون قد أصبت فى تحقيق الآراء والتوفيق بينهما وتكوين رأى يعتمد عليه فى هذه المسألة الشائكة وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *

رُؤْيَةُ النَّبى لِرَبِّهِ مَنَاماً

ويسوقنا هذا البحث فى رؤية النبى ﷺ لربه فى اليقظة إلى البحث فى رؤيته ﷺ لربه مناما ، وهذه الثانية ثابتة فى الأحاديث رواها الإمام أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه وقال : حديث حسن صحيح .

وإليك رواية الإمام أحمد فى مسنده أسوقها بطولها لما فيها من تجليات إلهية وعلم وأدب .

روى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال : احتَبَسَ علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غدَاةٍ من صلاة الصبح حتى كِدْنا نتراءى قَرْنَ الشمس ، فخرج ﷺ سريعاً فَثَوَّبَ بالصلاةِ فصلَّى وتجوَّزَ فى صلاَتِـهِ ، فلما سلم قال : كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال : إنى قمتُ من الليل ، فصلَّيتُ ما قُدِّر لى فَنَعَسْت فى صلاتى حتى استيقظت فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة[١] فقال : يا محمد أتدرى فيم يَخْتَصِمُ الملأُ الأَعْلَى[٢] : قلت لا أدرى يا ربى ـ أعادها ثلاثا ـ فرأيته وضع كَفَّهُ بين كَتِفى حتى وجدت بَرْدَ أنامِلِه بين صدرى فتجلَّى لى كلُّ شىء وعَرَفتُ فقال : يا محمد فيما يختصم الملأُ الأَعْلَى ؟ قلت : فى الكفَّارَاتِ قال : وما الكفاراتُ ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوسُ فى المساجد بعد الصلوات . وإسباغُ الوضوء عند الكريهات قال : وما الدرجاتُ ؟ قلت : إطعامُ الطعام ، ولينُ الكلام والصلاةُ بالليل والناسُ نيام .

قال : سلْ قلت : اللهم إنى أسألك فعلَ الخَيْرَاتِ ، وتركَ المُنكَرَات ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفرَ لى وترحَمَنِى ، وإذا أردتَ فتنةً بقوم فتَوَفَّنى غيرَ مَفْتُونٍ ، واسأَلُكَ حُبَّكَ ، وحبَّ مَنْ يحُبُّك ، وحبَّ عَمَلٍ يقَرِّبُنى إلى حبِّك .

فهذه الرؤية إنما كانت مناما ، ومن جعلها يقظة فقد غلط .

---

(١) هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيها رأيان : رأى السلف : الإيمان بها كما وردت مع تفويض علم حقيقتها إلى الله وتنزيهه عن الظاهر المعروف لنا ، ورأى الخلف : التأويل على حسب قواعد الشرع واللغة فيقولون فى الصورة : الصفة التى تليق به من الكمال والجلال والجمال ، وفى الكف والأنامل : أن المراد به التجليات الإلهية التى بها يفيض القلب إيماناً وعلماً ومعرفة ، فالكلام من قبيل التمثيل بإظهار المعانى المعقولة فى صور المحسوسات المعهودة . [والذى نراه ونعتقده : أن نؤمن بهذه الصفات كما جاءت ، ولا نكيِّف ولا نمثِّل ، وأن الإيمان بها واجب . ونرى صواب مذهب السلف من الصحابة والتابعين وممن بعدهم من أئمة الهدى كالأئمة الأربعة والإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم . فمذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ، ولا خير فى مخالفتهم] . **وهذا الكلام بين القوسين هو آخر ما اعتقده المؤلف رحمه الله ورجع به إلى مذهب السلف فى الصفات وهو منقول من كتابه الاسرائيليات والموضوعات [الناشر] .**

(٢) هم الملائكة الكرام .

قال رسول الله ﷺ : « إنها حق فادْرُسُوها وتعلَّمُوهَا » .

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا شفاعة نبيه ، وأن ينضر وجوهنا بالنظر إليه .

* * *

الإِسْــرَاءُ والمِعْــراجُ فِى شِعْــر الشُّعَـرَاء

لقد استلهم بعض الشعراء المسلمين السيرة النبوية ، واستوحوا حوادثها ومواقفها المشرفة ، فكان من ذلك قصائد شعرية تعتبر من عيون الشعر العربى وأعذبه وأصدقه على مر العصور والدهور ، ومن هذه الأحداث التى سجلوها فى قصائدهم (الإسراء والمعراج) وسنكتفى من هذه القصائد بما يتصل بموضوعنا الذى حللناه غاية التحليل ، ورأينا أن نختمه بهذه التحف الأدبية ، ولن أستوعب كل ما قاله الأقدمون والمحدثون فى هذا ، فذلك شىء يطول ولكنى سأكتفى بشاعرين كبيرين من شعراء (المدائح النبوية) الذين سجلوا حوادث السيرة النبوية فى ملاحم شعرية .

أحدهما قديم وهو الإمام البوصيرى .

والثانى أمير شعراء العصر الأخير أحمد شوقى .

وإليك ما قاله الإمام البوصيرى[١] رحمه الله فى الإسراء والمعراج .

قال فى (بردته)[٢] المشهورة :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ ... سَعْيًا وفوقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

وَمنْ هو الآيةُ الكُبرَىٰ لِمُعْتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النّعمةُ العُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ ليلاً إلى حَرَمٍ ... كما سَرَى البَدْرُ فى داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

---

(١) هو الشاعر الصوفى شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى نسبة إلى (بوصير) قرية من قرى بنى سويف ولد عام ٦٠٨ هـ وتوفى ٦٩٥ هـ بالإسكندرية وقبره بها مشهور يزار وقد وقع الإجماع على أن قصيدته البردة فى مديح الرسول أفضل المدائح النبوية بعد قصيدة بانت سعاد ونحوها من مدائح الصحابة .

(٢) قيل : السبب فى تأليفها أنه أصيب بالفالج « الشلل » فنظمها توسلا بها إلى الله فشفى وقيل فى سبب تسميتها بردة : أن البوصيرى بعد ما نظمها رأى النبى ﷺ فى المنام فألقاها بين يديه ، فخلع عليه صلوات الله وسلامه عليه بردته الشريفة .

وبتَّ تَرقَىٰ إلى أن نِلْتَ مَنْزِلةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدرِكْ وَلَمْ تَرمِ
وَقَدَّمَتْكَ جميعُ الأنبياء بها ... والرُّسْلُ تقديمَ مَخْدُومٍ على خَدَمِ[1]
وأنتَ تَختَرِق السَّبْعَ الطِّبَاقَ بهِمْ ... في موكبٍ كُنتَ فيه صاحبَ العَلَمِ[2]
حتىَّ إذا لم تدعْ شأْوًا لِمُستَبِقٍ ... من الدُّنُوِّ ولا مَرْقىً لِمُسْتَنِمِ
خَفَضْتَ كلَّ مقام بالإضافةِ إذ ... نوديتَ بالرَّفْعِ مثلَ المفرد العلِمِ
كيمَا تفُوز بوصل أيّ مُسْتَتِرٍ ... عن العُيُون وسِرّ أيّ مُكْتَتَمِ
فَحُزْتَ كلَّ فخار غيرَ مُشْتَرَكٍ ... وجُزْتَ كلّ مقام غير مُزدَحِمِ
وجلّ مقدار ما وُلِّيتَ من رُتَبٍ ... وعزَّ إدراكُ ما أُوليتَ من نِعَمِ
بُشْرى لنا معشرَ الإسلامِ إنَّ لنا ... من العِنَاية رُكْنًا غيرَ منهدمِ
لما دعا الله داعينَا لطاعَتِهِ ... بِأَكْرَم الرُّسْلِ كنا أكرمَ الأُمَمِ

وقال ـ رحمه الله ـ فى قصيدته « الهمزية » التى لا تقل عن البردة جمالا وروعة ، والتى تفيض إخلاصاً وحباً لصاحب الرسالة ﷺ قال :

فصفىَ الليلةَ التى كان للمخـ ... ـتار فيها علىَ البراقِ استواءُ
وترَقىّ به إلى قابِ قوسيـ ... ـن وتلك السيادةُ القَعْساءُ[3]
رُتَبٌ تسقُطُ الأمانى حَسْرَى ... دونها ما وراءَهُنَّ وراءُ[4]

(١) هذا نوع من المبالغة دعا إليه الإغراق فى الحب ، أو ضرورة القافية والشعر والرسل جميعا إخوة وليس فيهم خادم ومخدوم وإن كان هناك فاضل وأفضل .

(٢) المعروف فى الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ لما عُرِّج به لم يكن معه إلا جبريل عليه السلام ولم يكن فى موكب كما قال البوصيرى وإنما كان هذا فى بيت المقدس كما ذكرنا نعم لقى النبى بعض الأنبياء فى السماوات السبع ولكنهم لم يكونوا فى موكب كما قال ولا أدرى على أى شيء اعتمد شاعرنا البوصيرى ـ رحمه الله ـ والشعراء غالباً ما يعوزهم التحقيق التاريخى .

(٣) المشهور فى كتب الحديث والسير والتواريخ أنه ﷺ لم يصعد بالبراق ولم يطأ به السماوات بل ربطه فى بيت المقدس بالحلقة التى كانت تربطه بها الأنبياء ولم يزل مربوطاً حتى نزل النبى ﷺ من معراجه ثم ركبه وعاد به إلى مكة ، والقعساء : الثابتة الدائمة .

(٤) يعنى : ما قدامهن قدام فوراء بمعنى قدام والمعنى : أنه ليس قدامهن مرتبة أخرى يطمع مخلوق فى نيلها .

ثم وافى يحدِّثُ الناسُ شُكْرًا ... إذ أتَتْهُ من رَبِّه النَّعْماء
وتحدَّى فارتابَ كلُّ مريبٍ ... أو يَبْقَى مع السُّيُول الغُثَاءُ[١]
وهو يدعو إلى الإله وإن شَقْ ... قَ عليه كفرٌ به وازْدِرَاء
ويدلُّ الورى على اللهِ بالتو ... حيد وهو المَحَجَّةُ البَيْضاءُ[٢]
فَبِمَا رحمةٍ من اللهِ لانَتْ ... صَخْرَةٌ من إبائهم صَمَّاءُ
واستجابت له بنصرٍ وفَتْحٍ ... بعد ذلك الخَضْرَاءُ والغَبْرَاء[٣]

وقال أمير شعراء هذا العصر أحمد شوقى[٤] ـ رحمه الله ـ فى قصيدته (نهج البردة) :

أسْرَى بكَ اللهُ ليلا إذ ملائِكُهُ ... والرسْل فى المسجد الأقصى على قَدَمِ[٥]
لـمَّا خَطَرتَ به التفُّوا بسيِّدهم ... كالشُّهبِ بالبَدْرِ أو كالجُنْدِ بالعَلَمِ[٦]
صلى وراءَك مِنْهُمْ كلُّ ذِى خَطَرٍ ... ومن يَفُزْ بحبيب الله يأتَمِمِ[٧]
جُبْتَ السماواتِ أو ما فوقَهُنَّ بهم ... على منوّرة دُرِّيَّة اللُّجُمِ[٨]
ركوبةٌ لك من عزٍّ ومن شرف ... لا فى الجِيَادِ ولا فى الأيْنق الرُّسُمِ[٩]

(١) فارتاب .. أي عجز وانقطع عن المعارضة كل مرتاب . والغثاء : ما يحمله السيل من هشيم النبات .
(٢) المحجة البيضاء : الطريق إلى الله النيرة المضيئة التى لا يضل سالكها ، ولا ينقطع فيها دون الوصول إلى غايته .
(٣) الخضراء السماء لأنها فى رأى العين كذلك ، والغبراء الأرض والمراد المبالغة فى تمام النصر وعظم الفتح حتى كأنه شمل السماء والأرض .
(٤) هو أمير الشعراء أحمد شوقى بن على شوقى كان جده عربياً كردياً قدم إلى مصر وعاش وابنه وحفيده فى ظل الأسرة الحاكمة فى هذا الوقت وحظوا منه بقصائد رنانة . ولشوقى فضل كبير فى إحياء الأمجاد الإسلامية توفى عام ١٩٣٢ .
(٥) على قدم قائمون محتشدون .
(٦) خطرت به : مشيت به .
(٧) خطر : قدر ومنزله و« بحبيب الله » متعلق بيأتمم يعنى : ومن يفز يأتم بحبيب الله .
(٨) مراده البراق وقد حققنا آنفا أن المعراج لم يكن على البراق والظاهر أنه تأثر بالبوصيرى فى هذا .
(٩) الأينق : جمع ناقة وهى أنثى الجمال ، الرسم : الشديدة الوطء لقوتها حتى كأنها ترسم فى الأرض بمشيها آثاراً ظاهرة .

مشيئةُ الخالق البارى وصنعته ... وقدرة الله فوق الشَّكِّ والتُّهَمِ

حَتَّى بلغتَ سماءً لا يُطَارُ لها ... على جَنَاحٍ ولا يُسْعَى على قَدَمِ

وقيل : كل نبى عند رُتْبَتِه ... ويا محمدُ هذا العرشُ فاسْتَلِمِ

خطَطْتَ للدِّين والدنيا عُلُومَهُمَا ... يا قارىءَ اللَّوح بل يا لامِسَ القَلَمِ [1]

أحطْتَ بينهما بالسِّرِّ وانكشفَتْ ... لك الخزائنُ من عِلْمٍ ومن حِكَمِ

وضاعفَ القربُ ما قُلِّدت من مِنَنٍ ... بلا عِدَادٍ وما طُوِّقْتَ من نِعَمِ

وقال فى قصيدة (الهمزية) التى عارض بها همزية البوصيرى :

يا أيها المُسْرَى به شَرَفًا إلى ... ما لا تَنَال الشمسُ والجوزاءُ [2]

يتساءلون ـ وأنت أطهرُ هَيْكَلٍ ـ ... بالرُّوح أم بالهيكل الإسراءُ

بهما سموتَ مُطَهَّرًا وكلاهُما ... نورٌ ورُوحَانِيَّةٌ وبهاءُ

فضل عليكَ لذِى الجلالِ ومِنَّةٌ ... والله يفعل ما يرَى ويشاءُ [3]

تغشَى الغيوبَ من العوالِمِ كلَّما ... طَويتَ سماءٌ قلَّدتك سماءُ [4]

فى كل منطقة حواشى نورها ... نُونٌ وأنت النقطة الزَّهراءُ [5]

أنتَ الجمالُ بها وأنت المُجْتَلَى ... والكفُّ والمِرآةُ والحسناءُ

الله هيأ من حظيرة قُدْسِهِ ... نُزُلا لذاتِكَ لم يجُزْهُ عَلاءُ [6]

العرشُ تحتك سدةً وقوائما ... ومناكب الروح الأمين وُطَاءُ [7]

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم ... حاشا لغيرك موعدٌ ولقاءُ

---

(١) كناية عن اطلاع الله له ﷺ على ما أطلعه عليه من الغيوب .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء .

(٣) ما يرى : ما يعلم .

(٤) المراد إعلام الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ما شاء من علوم الغيب .

(٥) يعنى أنه ﷺ من النور والبهاء والجمال بمنزلة النقطة من حرف النون .

(٦) حظيرة القدس : مكان القدس وهو الطهر وتطلق أيضاً على الجنة ، النزل ما يعد للضيف .

(٧) لم يثبت فى الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ وطىء العرش أو علاه وكل ما يثبت أنه جاوز سدرة المنتهى ولعله من خيال الشعراء أو أخذه من بعض الكتب التى لا تعنى بالتحقيق .

أمــل ورجــاء

وبعد : ـ فهذه قصة الإسراء والمعراج ذكرتها كما استقيتها من أصح الأخبار وأوثقها وأجدرها بالقبول . وأملي ورجائى أن يتخذ منها الوعاظ والمرشدون ، والأئمة والخطباء ، والمحاضرون والكاتبون . مادة خصبة فى وعظ الناس وإرشادهم ، وفى خطبهم ومحاضراتهم ، وأن يكفوا عن ذكر القصص الذى لا سند له يصح عند التحقيق .

وأن يتخذ منها المنشدون ، وقارئوا الموالد ، والمتغنون بالخصائص المحمدية مادة صحيحة لإنشادهم فإن كثيرا من هؤلاء يأتون بغرائب كثيرة قد تشوق الناس وتستولى على وجدانهم ، وإن لنا فى الثابت الصحيح ما يغنى عن التزيد والاختلاق .

هذا وقد بذلت فى هذه (الرسالة) غاية جهدى حتى تأتى محررة من كل زيف أو تزيد ، وحرصت ـ ما استطعت ـ أن تكون بأسلوب سهل مبسط مستساغ يجد فيه العالم المتخصص ما يَشْبعُ نهمه ويرضى غريزته ، ويجد فيها الباحث ما يسعفه فى البحث ، ويجد فيها القارىء المتوسط ما يبصره بلون من ألوان الثقافة الإسلامية الصحيحة .

فإن كنت وافقت الصواب فبتوفيق من الله وفضل ، والحق أردت وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبي الهدى والبر والرحمة وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه أبو رضا

محمد محمد أبو شهبة

الفهـــــرس

الفصل الثانى

قصة الإسراء والمعراج